رسالة إبليس
إلى إخوانه المناحيس

للحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي
المتوفى سنة 494 هـ

تحقيق
حسين المدرسي

دار المنتخب العربي

رسالة إبليس
إلى إخوانه المناحيس

الطبعة الأولى

1415 هـ - 1995 م

دار المنتخب العربي
للدراسات والنشر والتوزيع
ص. ب : 113/6311 - بيروت - لبنان

توزيع

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع
بيروت - الحمرا - شارع اميل اده - بناية سلام
هاتف : 802428 -802407 -802296
ص. ب : 113/6311 - بيروت - لبنان
تلكس : LE M.A.J.D 21665 -20680

رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس

للحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي
المتوفى سنة 494 هـ

تحقيق
حسين المدرسي

دار المنتخب العربي
للدراسات والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

تأريخ البحث في مسألة القضاء والقدر في المجتمع الإسلامي يساوي تقريباً عمر هذا المجتمع، فطبيعة طرح المسألة في القرآن الكريم الذي ينسب الهداية والضلالة إلى الله تعالى[1] كانت كافيةً لبدء هذه الأبحاث من دون حاجة إلى أن تستورد الشبهات من اليهود والمسيحيّين، وإن كانت لهذه الأبحاث سابقة قديمة بين هؤلاء وربما يلاحظ تأثير أفكارهم وآرائهم في بعض المناظرات الكلاميّة التي ظهرت في الأدوار المتأخّرة.

وقد حفظت لنا كتب الحديث بعض النماذج الأولى من هذه المناظرات، أقدمها ما يعود إلى سنة 38، فقد روي بأسناد عديدة - سنيّة وشيعيّة - أنّه لمّا انصرف أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب من صفّين قام إليه شيخ ممّن شهد الوقعة معه فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن مسيرنا هذا أكان بقضاء من الله وقدر؟ قال له أمير المؤمنين: أجل يا شيخ! فو الله ما علوتم تلعة ولا هبطتم بطن واد إلاّ بقضاء من الله وقدر. فقال الشيخ: أعند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين؟ فقال: مهلاً يا شيخ! لعلّك تظنّ قضاءً حتماً وقدراً لازماً، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعد والوعيد، ولم تكن على مسيء لائمة ولا لمحسن مَحْمَدَة..[2].

---

(1) راجع قائمة بهذه الآيات في بحار الأنوار للمجلسي: 8 - 86 (بيروت - 1983).

(2) رسالة الجبر والتفويض المنسوبة إلى الإمام عليّ بن محمّد الهادي (المتوفّى 240)، المندرجة في كتاب تحف العقول لابن شعبة الحرّاني (القرن الرابع): 346 (بيروت - =

وقد مرّ الإمام علي في أيّام خلافته بجماعة بالكوفة يختصمون في القدر فكلّمهم فيه[1]. وقد حفظت لنا المصادر رسالة كتبها الحسن البصري إلى الإمام الحسن بن علي في مسألة القدر وردّ الإمام عليه، يرجع تأريخهما على أرجح الاحتمالات إلى الفترة القصيرة الّتي تصدّى الامام فيها للخلافة (رمضان 40 ـ ربيع الأوّل 41). جاء في رسالة الحسن: «يابن رسول الله إنّ النّاس قد اختلفوا في القدر فإن رأيت أن تكتب إلينا بما ألقاه الله عليكم أهل البيت فافعل». فأجابه الامام: «أمّا بعد ـ فإنّه من لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه فقد كفر ومن حمل ذنوبه على الله فقد فجر، إنّ الله لم يعص مغلوباً

1394)/ الكافي للكليني 1 : 155/ التوحيد للصدوق: 380 - 382 (طهران ـ 1387)/ عيون أخبار الرّضا له: 79/ الارشاد للمفيد: 120 - 121 (نجف ـ 1382)/ كنز الفوائد للكراجكي: 169 - 170/ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (تونس ـ 1974): 147 - 146/ إنقاذ البشر للمرتضى: 241 - 242 (طبعة قم ـ 1406 في المجلّد الثّاني من رسائل الشريف المرتضى)/ الفصول المختارة له: 44 - 46/ أمالي المرتضى 1: 151 - 150/ روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: 36 - 37/ النقض لعبد الجليل الرازي: 495 - 496 (طهران ـ 1399)/ متشابه القرآن لابن شهر آشوب: 197 - 198/ الطرائف لابن طاوس: 326 - 327 (قم ـ 1400) عن كتاب الفائق لابن الملاحمي/ الاحتجاج للطّبْرِسي 1: 310 - 311 (نجف ـ 1386)/ العُدَد القويّة لعليّ بن يوسف بن المطهّر الحلّي: 33 - 34/ كشف المراد للعلاّمة الحلي: 247 (قم ـ بدون تأريخ)/ ترجمة الإمام علي من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر 3 :284/ اللوامع الالهيّة للمقداد السيوري (تبريز ـ 1396): 139 - 143/ الصراط المستقيم للبياضي (طهران ـ 1384) 3 :64 - 65 عن تجارب الأمم لابن مسكويه/ معادن الحكمة لعلم الهدى 1 : 30 - 31/ بحار الأنوار 5 : 12 - 14 و75 - 76 و 95 - 96 و- 126 .125

(1) كتاب التوحيد للصدوق: 352 - 353/ بحار الأنوار 5 : 39/ معادن الحكمة 2 : 47. وانظر قصّة النجاشي الشاعر مع أهل الكوفة وهجاءه لهم لقولهم بالقدر في الشعر والشعراء لابن قتيبة 1 : 330 (القاهرة ـ 1366 بتحقيق أحمد محمّد شاكر) والاصابة لابن حجر العسقلاني 10 : 205 (القاهرة ـ 1396). وانظر أيضاً اختيار معرفة الرّجال المعروف برجال الكشّيّ (من القرن الرّابع): 397.

ولم يطع مكرهاً ولم يهمل العباد سدى في الهلكة، بل هو المالك لما ملّكهم والقادر على ما عليه أقدرهم، فان ائتمروا بالطّاعة لم يجدوا عنها صادّاً ولا مبطئاً وإن ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل، فإن لم يفعل فليس هو الّذي أدخلهم فيها جبراً ولا حملهم عليها قسراً بل مكّنه إيّاهم بعد إعذاره وإنذاره لهم واحتجاجه عليهم، وجعل لهم السّبيل إلى أخذ ما إليه دعاهم وترك ما عنه نهاهم»[1].

ثمّ كثر الحديث عن المسألة في العهد الأموي، حفظت المصادر القديمة عديداً منه في طيّاته، كما أنّه بقي رسائل مفردة نشر أكثرها. وبدأ علم الكلام الإسلامي ينمو ويتطوّر من هذا المنطلق ليصل إلى ما بلغ إليه في الأعصار التالية.

وكان من أولى الانقسامات الكلاميّة الّتي ظهرت بين علماء المسلمين انقسامهم إلى المرجئة والقدريّة الّذي تطوّر بعد فترة إلى مدرستي الاعتزال والأشعريّة، يقابلهم مدرسة أصحاب الحديث الّتي حظرت عن الأبحاث الكلاميّة العقليّة بما فيها أبحاث القدر[2]، ونشب الخلاف والتنافس بين أهل الكلام وأهل الحديث ووقع بينهم عداء شديد وسيف

---

(1) كتاب التكليف للشلمغاني المتوفّى 322 (المطبوع باسم فقه الرضا): 55/ تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: 231/ أعلام الدين لحسن بن أبي الحسن الديلمي (قم - 1408): 316/ متشابه القرآن لابن شهراشوب: 200/ معادن الحكمة لعلم الهدى 2 : 29 - 30 بحار الأنوار 5 : 40 - 41 و 123 - 124. روي النصّان في بعض هذه المصادر ملخّصاً وفي بعضها كاملاً، وهناك اختلافات يسيرة أيضاً في بعض الألفاظ. ويوجد النصّ في بعض المخطوطات القديمة أيضاً، منها مخطوطة رقم 1022 بالمكتبة المركزيّة لجامعة طهران الّتي يأتي النصّ فيها في ورقة 174 يتبعه نصّ الرسالة الّتي كتبها عبد الملك بن مروان إلى الحسن البصري وجوابها. والنصّ الّذي نقلناه أعلاه يوافق هذه المخطوطة إلاّ في السطر الأخير.

(2) بكر بن عبد الله المزني المصري المحدّث المكثر كان قد عزم على أن لا يسمع قوماً يذكرون القدر إلاّ قام فصلّى (الوافي بالوفيات للصفدي 10 : 207).

وتكفير[1]، فتبادلا الاتّهامات وألّف كلّ من الفريقين ردوداً ضدّ الآخر وتهجّم بعضهم بعضاً، فمثلاً كتاب «قبول الأخبار ومعرفة الرجال» لأبي القاسم البلخي الكعبي المعتزلي (المتوفّى 317 - 319) ألّف ضدّ المحدّثين وكتاب «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي و«تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة ألّفا دفاعاً عن المحدّثين وردّاً على المتكلّمين

وزاد في حدّة الخلاف ميل السلطة إلى أحد الفريقين الّذي سبّب في خلق الفتن والمحن المعروفة لكلّ من الجانبين، ممّا جاء تفصيلاً في المصادر ولا حاجة إلى إطالة الكلام فيه. والمعتزلة منهم خاصّة وقعوا موقع عداء الفرق الكلاميّة المختلفة وأصحاب الحديث والسّلطة الحاكمة ممّا ضيّق عليهم الأرض، خاصّة بعد صدور ما سمّي بالاعتقاد القادري في سنة 433، واستمّر التضييق والاضطهاد[2] حتّى قضى على الحركة في النهاية في القرن

---

(1) راجع كتاب الاتّجاهات الفقهيّة عند أصحاب الحديث لعبد المجيد محمود عبد المجيد (القاهرة - 1979): 78 - 81 وكتاب الحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع الهجري لادم متز 1: 288 - 289 وكتاب جورج المقدسي بعنوان:

Ibn Aqil et la resurgence de l'Islam traditionaliste au XIe siècle (Damas, 1963), pp. 327 - 40.

(2) فقد استتاب الخليفة القادر في سنة 408 فقهاء المعتزلة ونهاهم عن الكلام والمناظرة في الاعتزال وأخذ خطوطهم بذلك وأنّهم متى خالفوه حلّ بهم من النّكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم، وامتثل محمود بن سبكتكين الغزنوي أمر الخليفة واستنّ بسنّته في أعماله من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة وصار ذلك سنّة في الإسلام (المنتظم لابن الجوزي 7 : 287) ولـمّا أخذ محمود بن سبكتكين الريّ في سنة 420 نفى من كان بها من المعتزلة وأحرق كتبهم (الكامل لابن الأثير 7 : 335)، وفي سنة 456 لُعنت المعتزلة في جامع المنصور ببغداد، وجلس بعض العلماء لسبّ المعتزلة، وهجم قوم من الأشاعرة على أبي عليّ بن الوليد شيخ المعتزلة فسبّوه وشتموه وأهانوه وجرّوه (البداية والنهاية لابن كثير 12 : 91)، وألزموه بيته مدّة خمسين سنة إلى أن توفّي؛ المصدر نفسه 12 : 129)، واضطرّوا أبا الوفاء بن عقيل الفقيه في سنة 465 إلى أن يحضر في الديوان ويكتب على =

السّابع إلاّ في خوارزم حيث بقيت على ما يبدو حتّى مطلع القرن التاسع وفي اليمن حيث انتقل الاعتزال وعاش حتّى القرن العاشر.

في أواخر القرن الخامس كان كثير من العلماء ينتمون بعد إلى هذه المدرسة في ضواحي العراق وإيران، وكان خوارزم وخراسان من أماكنهم الرئيسيّة، لكنّهم كانوا تحت تهجّم أصحاب الحديث ـ الّذين كانوا متمثّلين الآن في فئة الحنابلة ـ وكذلك تهجّم الأشاعرة والكرّاميّة، وكان أدب الرّدود والنقود يدوم وإن كانت الغلبة مع الضغوط السياسيّة والفتن الاجتماعيّة. والكتاب الماثلُ بين يدي القارىء الكريم الّذي هو في الحقيقة لائحة اتّهام معتزليّة ضدّ فرق أهل الحديث والأشاعرة والكرّاميّة[1] قد أُلّف في مثل هذا الجوّ.

* * *

الإمام الحاكم أبو سعد المحسّن بن محمّد بن كرامة[2] الجِشُميّ

= نفسه كتاباً يتضمّن توبته من الاعتزال، لما قيل من أنّه كان يتردّد على هذا الشيخ أبي عليّ بن الوليد (المصدر نفسه 12: 98 و105).

(1) الكتاب أُلّف ضدّ فرق «المجبرة» و«المشبّهة»، ويريد المؤلّف بالمجبرة الأشعريّة والكرّاميّة والجهميّة والضراريّة والبكريّة والكلابيّة والنجّاريّة. قال: «ويتّسمون بأهل السنّة ولا نسلّم لهم ذلك» (كتابه العيون في الردّ على أهل البدع: ورقة 11 من مخطوطة رقم B66 بمكتبة أمبروزيانا/ كتابه في نصيحة العامّة: ورقة 23 من مخطوطة C 5 بالمكتبة نفسها). ويعني بالمشبهة «الحشويّة النّابتة أمثال أحمد بن حنبل وداود الأصفهانيّ» (العيون: 12 أ/ نصيحة العامّة: 23 أ). قال ابن قتيبة: «أطلق المعتزلة ألسنتهم في أهل الحديث ولقّبوهم بالحشويّة والنّابتة» (تأويل مختلف الحديث: 96).

(2) «كرامة» مخفّفاً لا «كرّامة» مشدّداً (كما في الأعلام للزركلي 5: 289غيره)، على ما يشهد به شعر معاصره عليّ بن أبي صالح الخواري في مدحه:

ألايا ضارباً في الأرض أقصر فما تبغيه عند ابن الكرامه
أقول لمن غدا يبغي مزيداً عليه علمت أنّك في الكرى، مه =

البروغنيّ البيهقيّ، المنتهي نسبه إلى الإمام عليّ بن أبي طالب[1]، ولد في قرية جِشُم[2] من ضواحي بيهق بخراسان في شهر رمضان سنة 413، وقتل بمكّة غيلةً في الثّالث من رجب سنة 494 عن واحد وثمانين عاماً، وكان قتله حسب ما أجمعت عليه المصادر بسبب رسالته المسمّاة «رسالة إبليس إلى إخوانه». كان في الفقه حنفيّاً حتّى الأخريات من عمره ثمّ انتقل إلى مذهب الزيديّة، وفي الأصول معتزليّاً من أتباع مدرسة القاضي عبد الجبّار[3]. بلغت مصنّفاته اثنين وأربعين كتاباً، بقي منها:

(1) **التأثير والمؤثّر**، في الكلام، منه مصوّرة بدار الكتب المصريّة برقم2119[4].

أليس بمقابل الطلاّب مهما — تلقّوه ببرّ أو كرامه
بجِشُم مبوّأ كلّ صدق — فذاك الرئم وهي له كرامه
أبا سعد بقيت فكلّ شخص — يروم الفضل حقّاً منك رامه
(تاريخ بيهق لابن فندق: 213).

(1) هكذا: المحسّن بن محمّد بن كرامة بن محمّد بن أحمد بن الحسن بن كرامه بن إبراهيم بن إسماعيل بن محمّد بن إبراهيم بن محمّد بن الحنفية، ابن الإمام عليّ بن أبي طالب (تاريخ بيهق: 213).

(2) بكسر الجيم الفارسيّة وضمّ السين المعجمة، من قرى ربع «كاه»، على جانب قرية بروغن كما ذكره ابن فندق (المتوفّى 565) في كتابه تاريخ بيهق: 38، وهي الآن موجودة معروفة بالاسم نفسه في رستاق كاه وداورزن من محالّ سبزوار (بيهق) على جانب قرية بروغن، فراجع لغت نامه دهخدا، حرف ج: 194/ فرهنك آباديهاي كشور: المجلّد الرابع، سبزوار: 49 والخرائط/ آثار باستاني خراسان لعبد الحميد مولوي: 474 - 483. وقد خرج من هذه القرية كثير من الفضلاء في العصور الوسطى، ترى ذكر عدّة منهم في تاريخ بيهق.

(3) فذكر ابن شهر آشوب (معالم العلماء: 83) والعلاّمة الحلّي (إيضاح الاشتباه: 71) له في عداد علماء الإماميّة مبني على التّسامح أو عدم معرفتهما به، فالرّجل يتهجّم على الإماميّة في آثاره كثيراً.

(4) الحاكم الجشمي لعدنان زرزور: 491.

(2) **تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيّين**، جمع فيه الآيات الّتي نزلت في أمير المؤمنين عليّ وسائر أهل البيت مرتّبة بحسب ترتيبها في السور وعقّبها بذكر الآثار والأخبار الدالّة على أنّها نزلت فيهم. منه مخطوطتان في المكتبة الغربيّة بالجامع الكبير بصنعاء (رقم 32 مجاميع: ورقة 1 - 47 ورقم 287 مجاميع: ورقة 1 - 27)[1] ومصوّرة بدار الكتب المصريّة (رقم 27622 ب)[2].

(3) **التهذيب في تفسير القرآن**، في عدّة مجلدات. يوجد في أمبروزيانا وفاتيكان[3] وصنعاء[4].

(4) **جلاء الأبصار في فنون الأخبار**. ينقل عنه ابن إسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان[5] ويوجد في صنعاء برقم 137 حديث[6].

(5) **حلية الأبرار المصطفين الأخيار**. يوجد في صنعاء[7].

(6) **رسالة إبليس إلى إخوانه**، وهي هذا الكتاب.

---

(1) فهرس مخطوطات المكتبة الغربيّة بالجامع الكبير بصنعاء، تأليف محمّد سعيد المليح وأحمد محمد عيسوي (صنعاء - 1978): 66 و827.

(2) الحاكم الجشمي لعدنان زرزور: 491.

(3) انظر بروكلمن 1: 524 (412) والملحق 1: 713/ الأعلام للزركلي 5: 289.

(4) الفهرس: 10.

(5) أنظر 1: 101 منه.

(6) الحاكم الجشمي لعدنان زرزور: 107 - 110 و491.

(7) مخطوطات يمنيّة لرضوان السيّد. وهو يذكر نسخة منه في 43 ورقة في مجموعة تتضمن تسع رسائل كتبت سنة 644، أولّها تنبيه الغافلين للجشمي نفسه. وفيها رسالة بعنوان نبذة للإمام المحسّن بن محمّد الخراساني، وهو كما عرفت أعلاه مؤلفنا الحاكم نفسه ويجوز أن تكون الرّسالة جزءً من أحد مصنّفاته المذكورة أعلاه أو غيرها.

(7) **السفينة الجامعة لأنواع العلوم**. جمع فيها سيرة الأنبياء وسيرة النبيّ وأحوال الصحابة والعترة إلى زمانه، في أربع مجلدات. توجد في أمبروزيانا[1] وصنعاء[2] وغيرهما[8]، ونقل منها كثيراً في كتاب «المقصد الحسن» لأحمد بن يحيى بن حابس الصعدي[3] وفي «قواعد عقائد آل محمّد» للديلمي[4] وفي كتاب «الترجمان» لابن مظفّر وغيرها.

(8) **شرح عيون المسائل**، في الكلام. يوجد في المتحف البريطاني[4] وأمبروزيانا[7] وليدن[8] وصنعاء[9]، ونشر فؤاد سيّد قسماً منه في مجموعة «فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة» (تونس ــ 1974، ص 365 - 393).

(9) **عيون المسائل أو العيون في الردّ على أهل البدع**، هذا الذي شرحه بالكتاب المذكور أعلاه. يوجد في أمبروزيانا[10].

(10) **نصيحة العامّة أو الرّسالة التامّة في نصيحة العامّة**، بالفارسيّة. وتوجد ترجمة منها بالعربيّة لمترجم متأخّر عن المؤلّف، قال في أوّله:

---

(1) أنظر بروكلمن، الملحق 1: 731.
(2) الفهرس: 407 و819.
(3) الحاكم الجشمي لعدنان زرزور: 111 و 452.
(4) المصدر نفسه: 111.
(5) طبعة شتروطمان (استانبول - 1938): 98، 102، 103.
(6) انظر بروكلمن 1 : 524 (412).
(7) فؤاد سيّد في مقدّمته على القسم المطبوع منه: 357.
(8) Encyclopaedia of Islam، الطبعة الثّانية، الملحق: 343.
(9) الفهرس: 181.
(10) بروكلمن، الملحق 1: 731.

«هذا كتاب جمعه الإمام شيخ الإسلام أبو سعد المحسّن بن محمّد بن كرامة الخراسانيّ البيهقيّ الجِشُميّ رحمة الله عليه بالفارسيّة.. وسمّاه الرّسالة في نصيحة العامّة. فأردت أن يستفيد بهذا الكتاب أصحابنا من أهل اللغة العربيّة كما استفاد به أصحابنا من العجم، وما أمكن ذلك إلاّ بأن نقلته إلى اللغة العربيّة.. وظنّي أنّه لا يخلو من خلل في عبارة العربيّة وللنّاظر فيه والسّامع أن يصلحه ويقوّمه..». توجد في أمبروزيانا[1] وصنعاء[2]، وقطعة منها في بيان مذاهب الباطنيّة في استانبول[3]، وقد نشرت هذه القطعة[4].

(1) المصدر نفسه، الملحق 1: 731.

(2) الفهرس: 210.

(3) بروكلمن، الملحق 1: 731.

(4) نشرها محمّد تقي دانش بزوه في نشريّة دانشكده أدبيات تبريز 17: 299 - 306.

للتوسّع في ترجمة الجِشُمي أنظر:

تاريخ بيهق لابن فندق: 212 - 213 (وراجع 125، 145، 185، 205، 221).

معالم العلماء لابن شهر آشوب: 83.

المنتخب من كتاب السياق لتأريخ نيسابور للصريفيني (قم - 1403): 692 - 693، ايضاح الاشتباه للعلاّمة: 71.

كتاب الترجمان لمحمّد بن أحمد بن يحيى بن مظفّر، مخطوطة المتحف البريطاني رقم Add 18513: 58.

رياض العلماء للأفندي 4: 408.

أمل الآمل للحرّ العاملي 2: 221.

نقض الإيضاح لعلم الهدى الكاشاني: 260.

نبذة في رجال شرح الأزهار للجنداري (القاهرة - 1332 مع كتاب المنترع المختار لابن مفتاح): 32.

بروكلمن 1: 524 (412) والملحق 1: 731 - 732.

يادداشت هاي قزويني 2: 157 - 162.

الأعلام للزركلي 5: 289 (بيروت - 1979).

«رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس» هكذا سمّاها الجنداري في رسالته[1]، وذكرها ابن شهرآشوب[2] والعلاّمة الحلّي[3] بعنوان «رسالة إبليس إلى المجبرة»[4] وآخرون بعنوان «رسالة أبي مُرّة إلى إخوانه المجبرة»[5] أو «رسالة الشيخ أبي مُرّة»[6]، وهي تبدو بعنوان «الدرّة على لسان الشيخ أبي مُرّة» في مخطوطة صنعاء[7] وبعنوان «رسالة إبليس إلى إخوانه من المجبرة والمشبّهة في الشكاية من المعتزلة» في مخطوطة طهران، هذه الرسالة الّتي قتل المؤلّف بسببها، نقدّمها هنا مطبوعة على أساس نسخة مكتبة المجلس بطهران (رقم 10727، ورقة 12 ب ـ 40 أ) المكتوبة في آخر شهر جمادى الأخرىٰ سنة 732 ونسخة صنعاء (رقم 58/1 علم الكلام) المكتوبة في 17 شهر جمادى الأخرى سنة 1343 وقد حصلنا على مصوّرة من النسخة الأخيرة بعد الطّبعة

مقدّمة فؤاد سيّد على القسم المطبوع من شرح عيون المسائل للجشمي في مجموعة «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة»: 353 - 358.

الحاكم الجشمي ومنهجه في تفسير القرآن لعدنان زرزور (دمشق ـ 1391).

لويلفردماديلونغ: Der Imam al - Qasim ibn Ibrahim 186 - 191 ومقاله عن الجشمي في Encyclopaedia of Islam الطبعة الثانية، الملحق: 343.

(1) نبذة في رجال شرح الأزهار: 32.

(2) معالم العلماء: 83.

(3) إيضاح الاشتباه: 71.

(4) كتاب الترجمان لابن المظفر: 58 أ.

(5) عدنان زرزور نقلاً عن طبقات الزيديّة ليحيى بن الحسين، ورقة 34 من مصوّرة دار الكتب المصريّة (رقم 15632 ح) ونزهة الأنظار ليحيى بن حميد، ورقة 21 من مخطوطة صنعاء (رقم 90 مجاميع).

(6) زرزور أيضاً نقلاً عن مطلع البدور للصنعاني 4: 413 - 414 من مخطوطة دار الكتب (4322 تأريخ).

(7) الفهرس: 162.

الأولى، وهي وإن كانت متأخّرة كثيرة الخطأ والتصحيف[1] إلاّ أنّها أعانتنا في إصلاح بعض ما لم نهتد إلى صوابه في تلك الطّبعة. وكذلك استفدنا بعض الشيء من مختصر للرّسالة لعبد الرّحمن بن محمّد بن ابراهيم العتايقيّ الحلّي (من القرن الثامن) سمّاه الدرّ النفيس من رسالة إبليس، وهي موجودة في مكتبة المرعشي بقم برقم 8258/1[2]]

أمّا عملي في هذا الكتاب فينحصر في تقديم النصّ وتخريج بعض ما ورد فيه من الأحاديث والأشعار والقصص، واقتصرت على الأقلّ الواجب في التعريف بالأعلام الواردة أسماؤهم فيه، ولم أتعرّض أصلاً لتخريج وشرح الآراء الكلاميّة الّتي يذكرها المؤلّف لأنّ ذلك يحتاج إلى فسحة من الوقت لا أجد إلى ذلك سبيلاً. وإنّما قمت بهذا العمل إحياءً لأثر من التراث الكلاميّ الإسلاميّ، وهذا ـ كما هو واضح ـ لا يعني بوجه من الوجوه الموافقة على ما جاء فيه. والله من وراء القصد.

جامعة برنستين

حسين المدرّسي

(1) وهي كثيرة التبديل أيضاً فغيّرت فيها لفظة المعتزلة في جميع الموارد إلى العدليّة وأضيفت إلى المتن في موردين أشياء تعطي له صبغة زيديّة.

(2) أنظر فهرس المكتبة 21 : 215 - 216.

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الأولى من مخطوطة طهران

الصفحة الأخيرة من مخطوطة طهران

رسالة إبليس

إلى إخوانه المناحيس

بسم الله الرحمن الرحيم

تـمّم بفضلك

توكّلت على الله واستعنت به

رسالة إبليس إلى إخوانه من المجبرة والمشبّهة في الشكاية عن المعتزلة

وهي ستّة عشر باباً

الباب الأوّل

في ما صدّر به الرسالة من الشكوى

أمّا بعد، معاشر إخواني - كثّر الله عددكم وأطال أمدكم - لقد علمتم وأيقنتم أنّه لا موافقة فوق موافقة الاعتقادات ولا مطابقة أعظم من المطابقة في الدّيانات، جبلت القلوب على حبّها حتّى يتواصل فيها الأجانب ويتقاطع عليها الأقارب، ووافقت في ذلك الشريعة الطبيعة، فوردت فيها الآيات والأخبار والنصوص والآثار ونطق به الكتاب واتّفق عليه ذوو الألباب، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1] و﴿الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[2] و ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾[3]. ورووا أنّ النبي - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - قال لأبي ذر: أتدري أيّ عرى الإسلام أوثق؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: الموالاة في الله والمعاداة في الله والحبّ في الله والبغض في الله[4]. وقال شاعرهم:

إن لم يكن بيننا قربى فآصرة   في الدّين أقطع فيه الوالد الولدا[5]

---

(1) القرآن الكريم، سورة الحجرات (49) : 10.

(2) سورة التوبة (9): 71.

(3) السورة نفسها: 67.

(4) تحف العقول لابن شعبة: 45/ بحار الأنوار 74 : 159. أنظر أيضاً سنن أبي داود 4:198 (رقم 4599)/ مسند أحمد 4: 286/ الكامل في ضعفاء الرّجال لابن عدي 3 : 409/ كنز العمّال: رقم 15246.

(5) البيت لابن الرّومي (أبي الحسن علي بن عبّاس بن جريج)، وهو في ديوانه 2 : 647 (من طبعة دار الكتب، القاهرة - 1974) باختلاف يسير.

وقد علمتم أنّ نوحاً لمّا سأل ربّه أن يبقى ابنه أجيب ﴿إِنَّهُ لَيسَ مِن أَهلِكَ﴾[1] لمخالفته لك في دينك ﴿فَكَانَ مِنَ المُغرَقِينَ﴾[2] مع الكافرين، وأنّ لوطاً بشّر بالنجاة ﴿إِلاّ امْرَأَتَهُ كانَتْ من الْغابِرينَ﴾[3]، وإبراهيم لأجل الدّين خالف أباه، وأشرك موسى في النبوّة أخاه، وأنّ آسية تبرّأت من فرعون وإن عذّبت بالأوتاد، وحزبيل تبرّأ منه وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يقُولَ رَبّيَ الله وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[4]، وأنّ أبا لهب عُدَّ أجنبيّاً وإن كان هاشميّاً، وعُدَّ سلمان أهليّاً وإن كان فارسيّاً. كلّ ذلك بناءً على الموافقة في الشريعة والتّناصر في الملّة والتّقارب في النحلة.

ولقد علمتم معاشر إخواني ما بيني وبينكم من موافقة الاعتقاد وما يجمعني وإيّاكم من خلوص الوداد، فإنّ اعتمادي عليكم واعتدادي بكم وانقطاعي إليكم، وأنتم الذّابّون عنّي والسّالكون على سنّتي، فينوبني ما نابكم ويريبني ما رابكم، فأنتم منّي وأنا منكم، وكأنّ الشاعرَ عبّر عنّا وعنانا بقوله:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته[5] أبصرتنا[6]

وقد علمتم معاشر إخواني ما لقيت ولقيتم من هؤلاء المعتزلة قديماً وحديثاً. ولقد عظمت فتنتهم واشتدّت شوكتهم وعلت كلمتهم وظهرت

---

(1) سورة هود (11) : 46.
(2) السورة نفسها: 43.
(3) سورة الأعراف (7) : 83.
(4) سورة غافر (40) : 28.
(5) في الأصل: فاذا أبصرتني.
(6) البيتان لحسين بن منصور الحلاّج، وهما في ديوانه المطبوع (بغداد ـ 1974): 55.

مقالتهم وحجّتهم وكنت أحسبهم في الإنس فإذا هم في الجنّ أكثر ومذاهبهم أظهر وعددهم أوفر، قد طبقوا البرّ والبحر والسهل والوعر، فلا بلد إلاّ ولهم فيها داع ومدرّس وخطيب ومصنّف يصرخون بمذاهبهم على المنابر ويملأون الدنيا بالكتب والدفاتر. وقد جمعت بينهم وبين إخواني من مجبرة الجنّ كثيراً ودبّرت مع خواصّي في شأنهم تدابير فلم ينفذ لي فيهم حيلة ولا مكيدة. كنت أطمع في كلّ مرة أن نفحمهم فأفحمونا وأرجو أن نقطعهم فقطعونا وأؤمل أن نفضحهم ففضحونا، وبلغ من أمرهم أن قابلوني بقبيح الفعال وجبهوني وإيّاكم باللعن وسوء المقال. وفي كلّ ذلك أنتم الذابّون عنّي والمناضلون دوني. ولكن لا ينفع معهم التوازر والقتال ولا ينجع فيهم المقال. إن قاتلناهم هزمونا وإن قاولناهم أفحمونا وإن تركناهم لعنونا، وإن قلنا نحسن العشرة تلوا: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوادّونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾[1]، وإن طلبنا الموافقة قرأوا: ﴿**قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ**﴾[2]، وإن رمنا المصالحة تلوا: ﴿**قاتِلوُا الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ**﴾[3]، وأنشدوا:

ليس بيني وبين قيس عتاب   غير طعن الكلا وضرب الرقاب[4]

وإذا قلنا لهم دعوا ما أنتم فيه فقد وقعتم في التيه، قالوا أشيء نقدر على تركه؟ فإن قلنا «نعم» قالوا تركتم المذهب، وإن قلنا «لا» سخروا منّا

---

(1) سورة المجادلة (58) : 22.

(2) سورة الكافرون (109) : 1.

(3) سورة التوبة (9) : 29.

(4) البيت من قصيدة لعمرو بن الأيهم بن الأفلت التغلبي، من شعراء أواخر المائة الأولى (معجم الشعراء للمرزباني: 242/ سمط اللآلئ: 184) ونسبه ابن عبد ربّه (العقد الفريد 3: 473 من طبعة أحمد أمين) إلى رجل من الأعراب.

واستهزأوا بنا فإذاً السكون أحرى. ولقد ضاق صدري وعيل صبري، وقد كتبت إليكم إخواني في ما جرى بيني وبينهم من المقامات وما لقيت ولقيتم من النكايات، تحقيقاً لما ذكرت وتصديقاً لما قدّمت، لنكون يداً واحدة عليهم متعاونين على دفعهم.

ولقد علمتم إخواني أنّ من الواجب في الدّين نصيحة الإخوان والأتباع، وبذل الأمانة للأشياع. ألا وإنّي أبلّغكم ما لا تعلمون، وأنصح لكم وأنا لكم ناصح أمين. فاجتنبوا مجالسهم ومدارسهم، ولا تستمعوا إلى كلامهم ومواعظهم، وجنّبوا أشياعكم وعوامّكم ونساءكم وصبيانكم، فإنّ لكلامهم حلاوة وعليه طلاوة تحيّر ذوي الألباب وتدخل في القلب بلا حجاب. ومن عظيم فتنتهم أن سمّوا أنفسهم بالموحّدة العدليّة وسمّونا بالمجبرة القدريّة، فرمونا بالإلحاد ونسبونا إلى الفساد.

ولقد مررت بقاصّ من الجنّ يتكلّم في قوله تعالى: ﴿وَجاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ﴾[1] وهو يقول: يا معشر الجنّ! الجهاد أربعة: جهاد النفس بالصبر عن العصيان، وجهاد الكفّار بالسيف والسنان، وجهاد أهل البدع بالحجّة والبرهان، وجهاد أهل الكبائر بالموعظة والبيان. ثمّ قال: أمّا جهاد النفس فقد قال الله تعالى: ﴿وأَمَّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمأْوى﴾[2] وانّه تعالى قدّم الحجّة وبيّن المحجّة وأعطى الآلة وأزاح العلّة، ووعد وأوعد، فكلّ من عصى فمن قبل نفسه أتي، وأنّ العبد مخيّر ﴿فَمَنْ شاء فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3]. وأمّا

---

(1) سورة الحج (22) : 78.

(2) سورة النازعات (79) : 40.

(3) سورة الكهف (18) : 29.

جهاد الكفّار وأرباب الضلال فمن أعظم الطاعات، قال الله تعالى: ﴿وَجاهِدوُا فِي الله حَقَّ جِهادِهِ﴾[1] وهو من دعائم الإسلام وأركان الدين. وأمّا جهاد أهل البدع ـ وهم المجبرة والمشبّهة ـ فمن أهمّ الأمور وفرض على الجمهور، وقد قال الله تعالى: ﴿أُدْعُ إِلىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ والْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2]، فلا فتنة أكبر من فتنتهم ولا ضلالة أعظم من ضلالتهم، حيث شبّهوا الله بخلقه وأضافوا القبيح إلى صنعه، وقد بلغنا من رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ في ذمّ المبتدعة آثار جمّة، فقال ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ: من وقّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام[3]، وقال لعائشة وقد سألته عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ فَرَّقُوا دينَهُمْ﴾[4] من هم؟ قال ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ: هم أصحاب البدع من هذه الأمّة، يا عائشة! لكلّ ذنب توبة إلاّ أصحاب البدع فإنّه ليست لهم توبة، أنا منهم بريء وهم منّي براء[5]. وأمّا جهاد أهل الكبائر فقوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلىٰ مَا أَصٰابَكَ﴾[6]. والقوم حوله يكون وإيّاي وإيّاكم يلعنون. فأخذني ما قرب وما بُعد، لا أقدر على منع ولا أجد عوناً على دفع.

ولقد مررت بقاصّ منهم يقصّ والقارىء يقرأ: ﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ تَرَى

---

(1) هذا تكرار للآية الأولى، والأنسب قوله تعالى: ﴿يٰاأَيُّهَا النَّبِيُّ جاهِدِ الْكُفّارَ وَالْمُنافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (سورة التوبة ـ 9: 73).

(2) سورة النحل (16) : 125.

(3) الكامل لابن عدي 2: 498 و736/ كنز العمّال: رقم 1102.

(4) سورة الأنعام (6) : 159.

(5) مجمع الزوائد للهيثمي 7: 22/ كنز العمّال: رقم 4366 باختلاف يسير.

(6) سورة لقمان (31) : 17.

﴿الَّذينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾[1] وهو يقول: بلغنا عن الحسن وجماعة من العلماء أن قالوا: يؤتى بالشيطان يوم القيامة فيقال له: هلاّ سجدت إذ أمرت؟ قال: فيقول الشيطان ما قدرت عليه ولا مكّنت منه وحيل بيني وبين السجود وخلق فيّ الإباء، ولو خلّيت لسجدت. فيقال له: كذبت بل من قبل نفسك أتيت. فيقول: لي شهود يشهدون على ما قلت، فينادي: أين شهود الشيطان وخصماء الرحمن؟ فيقوم جماعة المجبرة فيقولون: صدق الشيطان، فيشهدون له، فيخرج من أفواههم دخان أسود تسودّ منه وجوههم ثمّ يبعث بهم معه إلى النار. وذكر عن علي ـ عليه السلام ـ حديثاً طويلاً أنّ المجبرة خصماء الرحمن وشهود الشيطان وقدريّة هذه الأمّة ومجوسها. والقوم يرفعون أصواتهم باللعن عليّ وعليكم، ويقولون لعن الله الشيطان وأتباعه وأشياعه. فقال بعض المشايخ ممّن كان معي: أيّها الشيخ! إليك المشتكى في عظيم هذه البلوى، دبّرنا في أمرهم. فقام معتزليّ من الجنّ، فقال: التدبير هو الصبر أو القبر. ثمّ أنشأ يقول:

رُبَّ مـــن أشـــجـــاه ذكـــري   وهـــو لم يـــخـــطـــر ببـــالـــي
قـــلـــبـــه مـــلآن مـــن بـــغـــ   ـضـي وقـلـبـي مـنـه خـالـي[2]

لقد مررت بقاصّ من أصحابنا شيخ كبير وحوله جماعة من أصحابنا المجبرة وهو يقصّ، فقرأ قارىء قوله تعالى: ﴿وَنَادٰهُما رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا

---

(1) سورة الزمر (39) : 60.

(2) الشعر لعبد الصمد بن المعذّل وهو في ديوانه (من جمع زهير غازي زاهد، النجف ـ 1390): 157؛ ونسبه ياقوت في معجم الأدباء 19: 120 (القاهرة ـ 1355/7) إلى المبرّد، باختلاف يسير عمّا هاهنا في بعض الكلمات في المصدرين وغيرهما كمحاضرات الرّاغب 1: 250 (بيروت ـ 1961) ومشارق أنوار اليقين للبرسي: 15.

عَنْ تِلْكُمَا الْشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُما إِنَّ الْشَيطانَ لَكُمْا عَدُوٌّ مُبينٌ﴾[1]. فقال ذلك الشيخ: أيّها القوم! الصدق منجاة، ما ذنب الشيطان في الوسوسة؟ وما ذنب آدم وحواء في أكل الشجرة؟ أما علمتم أنّ الله خلق الوسوسة في الشّيطان ومنعه من خلافها، وأرادها منه وقضاها عليه، وخلق الأكل فيهما ولم يقدرا على تركه وأراد منهما الأكل ثم يقول: ﴿أَلَـمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الْشَّجَرَة﴾ الآية، ومن إلشيطان حتّى يقدر على شيء؟ ومن آدم وحواء حتّى يقدرا على أكل الشجرة؟ الكلّ من الله. وبكى وبكى النّاس حوله وقالوا: صدقت! فقام من غمار الناس معتزليّ أخذته الرعدة وعينه تفيض من الدّمع، وقال: أفّ لكم يا معشر المجبرة وسوأة لكم! أتبرّئون الشيطانَ وتورّكون الذنب على الرّحمن؟ أما تستحيون من ربّكم؟ أما لكم عقل يردعكم؟ أما لـكم دين يمنعكم؟ ﴿أُفٍّ لَكُمْ وَلِـمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دوُنِ الله أَفَلا تَعْقِلُونَ؟﴾[2] وارتفعت الضجّة وتفرّق النّاس، وأنا شاكر لسعيكم ذاكر لما كان منكم.

واجتمع عندي المشايخ يوماً يتذاكرون. فقام معتزليّ من الجنّ وقال: يا قوم لِمَ لم يسجد هذا الشيطان لآدم وقد أمر به؟ فقالوا: لأنّه منع منه بموانع كثيرة، لم يخلق الله فيه السجود ولا أراده ولا قضاه ولا أقدره عليه، بل خلق فيه تركه وأراده وقضاه وقدّره، وخلق فيه القدرة الموجبة لتركه وأغراه بتركه وزيّن ذلك في قلبه، ثمّ كلّفه ما لا يقدر عليه، فما ذنب هذا المسكين؟ فقال المعتزلي: فلماذا لعنة وعاقبه؟ فقالوا: الملك ملكه، لو عاقب آدم وسائر الأنبياء والأبرار وأثاب فرعون وسائر الكفّار كان عدلاً منه. فقالَ لهم: بعداً لكم وسحقاً مع هذه المقالة! فقصدوه بالنعال فهرب. وعرفتم حقّي وحميتم ذماري.

---

(1) سورة الأعراف (7): 22.

(2) سورة الأنبياء (21): 67.

ولقد جمعني وإيّاكم وإيّاهم مجلس فقرأ قارىء: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَني آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدوا الشَّيطانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبينٌ. وَأَنِ اعْبُدوني هٰذا صِراطٌ مُسْتَقيم. وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلاًّ كَثيراً﴾ الآية[1]، فقال صدرٌ من صدور المجبرة وشيخ من مشايخهم: ما ذنب هذا المسكين يلعنه ويوبّخه؟ أليس خلق فيه العداوة والإضلال، فما بال هذا الإعتلال؟ فقال القوم: صدقت! فقام معشر من المعتزلة وقالوا: كذبت وكذبوا! بل الله بريء من ذلك. ولعنوني وإيّاكم، وارتفعت الضجّة، وتعدّى المقال إلى القتال، وتفرّقنا ونحن على شرّ حال.

وحضرني جماعة من المشايخ يوم عيد وشكوا المعتزلة وقالوا: فعلوا بنا كذا وقالوا لنا كذا، وإذا واحد من غمار النّاس يصيح ويقول: من فعل ذلك ومن قاله؟ أنحن فعلناه فقد تركتم مذهبكم، أم الله فعله[2] فارضوا بقضائه وإلاّ كفرتم.

ولقد علمتم ما فعل الناقص[3] بأخينا الوليد[4] حين خرج عليه في الغيلانيّة[5]، وسمعتم ما فعل من الأفاعيل بالمروانيّة، وبلغكم ما فعلوا

---

(1) سورة يس (36) : 60 - 62.

(2) في الدرّ النفيس: فإن قلتم نحن فعلناه فقد تركتم مذهبكم وإن قلتم الله فعله...

(3) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي. ثار على ابن عمّه الخليفة الوليد بن يزيد وقتله واستولى على الخلافة في مستهلّ رجب 126، ومات في ذي الحجّة من السنة نفسها. قيل إنّه كان أعدل بني أميّة بعد عمر بن عبد العزيز.

(4) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، عاشر الخلفاء الأمويّن. ولي الخلافة بعد عمّه هشام بن عبد الملك في سنة 125، فمكث سنة وثلاثة أشهر، ونقم عليه النّاس سوء سيرته وحبّه للّهو فبايعوا ابن عمّه يزيد الناقص وقتلوه.

(5) فرقة من القدريّة، أتباع غَيْلان بن مسلم الدمشقي الّذي كان يقول بأنّ القدر خيره وشرّه من العبد، وأنّ الإمامة تصلح في غير قريش ولا تثبت إلاّ بإجماع الأمّة. قتله هشام بن عبد الملك الأموي.

بأصحابنا في أيّام العبّاسيّة، وما فعله المأمون[1] وأقرانه بنا من تشتيت كلمتنا والإغراء بأهل مقالتنا، وما جرى من القتل والصلب في أيّام ابن أبي دواد[2]، وما كان من قطع الألسن في أيّام ابن عبّاد[3]، وما كان من نصرة العلويّة الخارجين في نصرة الإعتزال، وما جرى على أصحابنا من ملوك آل بويه من الإذلال، ثمّ ما كان في أيّام ركن الدّولة[4] من محن جمّة وبليّة وغمّة من شيخ مصفوع ومجلس مرفوع ومذهب مدفوع. ولقد اجتمعت معتزلة الجنّ عليّ وعلى أتباعي وأعواني وأشياعي وإخواني بالمقال والفعال، فنحن بين ثلاث: بين فقيه منبره منكوس وحظّه مبخوس ونجمه منحوس، وبين ثان في السجن محبوس وله من الذلّ والصّغار ملبوس، وبين ثالث ترك عمره ودخل بغمّة قبره، فإليكم المشتكى وبكم المستعان.

(1) هو عبد الله بن هارون الرشيد، سابع الخلفاء العبّاسيين. ولي الخلافة بعد خلع أخيه الأمين في سنة 198 ومات في سنة 218.

(2) هو القاضي أحمد بن أبي دواد الأيادي المعتزلي، قاضي قضاة المعتصم ثمّ الواثق العبّاسيين. مات في سنة 240.

(3) هو الصّاحب إسماعيل بن عبّاد بن العبّاس الطالقاني، استوزره مؤيّد الدولة البويهي ثمّ أخوه فخر الدّولة. مات في سنة 385.

(4) هو الحسن بن بويه الديلمي، من كبار الملوك في الدّولة البويهيّة. استمرّ في الملك 44 سنة، ومات في سنة 366.

الباب الثاني

في التوحيد والتشبيه

فكرت وقلت: مدار هذا الأمر على التوحيد وبذلك باينت هذه الفرقة سائر الفرق وهذا الدّين سائر الأديان، وعلمت أنّ ممّا أجمعوا عليه وعلم من دين الرّسول ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ ضرورة أنّ الله تعالى واحد لا ثاني له ولا شبه له ولا مثل له، وأنّي إن ألقيت إليهم خلاف ذلك لا يقبلون، فدبّرت وأتيتهم من خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم كما وعدت[1]، وقلت: لا بدّ لهذا الأمر من تحصيل ولهذه الجملة من تفصيل. ألقيت إليهم التثنية والتثليث معنىً وإن خالف لفظاً، وقلت: إنّ مع الله قدماء: قدرة قديمة وعلم قديم وحياة قديمة، حتّى ألقيت أنّ القدماء تسعة[2] وأكثر.

فقبلتم عنّي أحسن قبول وصنّفتم فيه الكتب ودرستم بذلك في المدارس وناظرتم فيه بالمجالس. غير هؤلاء المعتزلة من الجنّ والإنس فإنّهم أبوْا أشدّ الإباء وقابلوني بالعداوة والبغضاء، وقالوا: هذا موافقة للمانويّة في التثنية، وللنصارى في التثليث، وللطبائعيّة في قدم الطبائع الأربعة، وللمنجّمين في القول بقدم الكواكب السبعة. وإنّما الدّين القويم بأنّ الله واحد قديم وما سواه محدث فهذا موافقة جمل دين المسلمين وما أتى به خاتم النّبيّين.

---

(1) أنظر سورة الأعراف (7) : 17.

(2) في اليمنيّة: سبعة.

وزاد شيخنا أبو عبد الله بن الكرّام[1] حتّى عدَّ قدماء كثيرة وسمّاها أعراضاً وأغياراً. فكفّرهم المعتزلة بذلك، وذكروا في ذلك حججاً وتلوا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلٰهٍ إِلَّا إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾[2].

وذكروا أنّ نصرانياً كان يناظر في الكلام، فإذا أتاه مجبر قال: أليس أنّ الله خلق فيّ الكفر وأنا لا أقدر على تركه؟ فيقول: نعم، فيقول: فما معنى مناظرتك لي؟ وإذا أتاه مشبّه قال: أنت يا أخي زدت عليّ! فإنّي قلت ثالث ثلاثة وأنت تقول رابع أربعة وخامس خمسة وتاسع تسعة، وإذا جاء المعتزلة قال: خذ السلاح وآخذه فالقتال بيني وبينك[3].

فصل

فكرت وقلت: إن ألقيت إليهم عبادة الوثن لا يقبلون، فألقيت ما هو في معناها وهو أنّ الله ذو صورة وأعضاء، له وجه وجنب ويد وساق وعين ولسان، وأنّه جسم. أمّا المعتزلة فقابلوني بالردّ وقالوا: هذه عبادة الأوثان ونعوذ بالله من نزغات الشيطان، وذكروا أنّ الله تعالى ليس بجسم ولا عرض ولا يشبه شيئاً، وأنّه تعالى ليس له أعضاء ولا أكفاء ولا أنداد ولا أضداد، وأنّه واحد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ[4]﴾، وأنّه لو كان جسماً لكان مؤلّفاً مركّباً مصوّراً محدثاً ـ تعالى الله عن ذلك. وأمّا

---

(1) هو محمّد بن كرّام السجزي النيسابوري، إمام الكرّامية. ولد بسجستان وجاور بمكّة سنين ثمّ انتقل إلى نيسابور، ومات بالقدس سنة 255.

(2) سورة المائدة (5) : 73.

(3) القصّة في نثر الدرّ للآبي 7: 196 وتبصرة العوام: 263 - 264.

(4) سورة الشورى (42) : 11.

أنتم فقبلتم أحسن قبول وصنّفتم فيه التصانيف ورويتم فيه الأحاديث ووضعتم فيه الأسانيد، وفصّلتم عضواً عضواً وجعلتم لكلّ عضو باباً ودوّنتم في كلّ باب كتاباً وسمّيتموها مذاهب السنّة والجماعة.

فسئل[1] شيخنا الهليلجي[2] عن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ما معناه مع قولك أنّه جسم ذو أبعاض وأعضاء؟ فقال: هذا لا معنى له!

وسئل أحمد بن العبّاس عن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾[3]، قال: هو الدنوّ . وكان يقول[4] بالمؤانسة والمجالسة والمحادثة والخلوة.

وسئل بعضهم عن قوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[5] فقال: يقعده معه على سريره ويعلّفه بيده.

وسأل بعضهم مُعاذ العنبري[6]: أله وجه؟ قال: نعم[7]. قلت: فعين؟ قال: نعم، حتّى عددت جميع الأعضاء من أنف وأذن وصدر وبطن وهو يقول نعم، فاستحييت أن أذكر الفرج فأوميت بيدي إلى فرجي، فقال: نعم!

---

(1) من هنا إلى آخر قصّة يحيى بن معين من هذا الباب نقل بتصرّف قليل وغير منسوب في كتاب الشافي لعبد الله بن حمزة (بيروت ـ 1406) 1: 135 - 136 .

(2) في الشافي: البلخي الهليلجي.

(3) سورة ص (38): 25، 40.

(4) من هنا إلى آخر قصّة فاطمة ويزيد ورد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 3 : 224 - 227 (من طبعة محمّد أبو الفضل إبراهيم) غير منسوب، وقد أكملنا النصّ هنا في بعض المواضع على أساس المنقول.

(5) سورة القمر (54) : 55.

(6) هو القاضي مُعاذ بن مُعاذ بن نصر بن حسّان التميمي البصري، من المحدّثين. ولي قضاء البصرة للرشيد وبها توفّي سنة 196.

(7) في الأصل بعد: لا كالأوجه.

فقلت: ذكر أو أنثى؟ قال: ذكر! ففرح القوم[1]. غير هؤلاء المعتزلة فإنّهم لعنوه وكفّروه.

ولقد شكرنا جميعاً سعي ابن خزيمة[2] في تصنيفه كتاباً في أعضاء الله، وذكره ما شهد به. وذكر بعض أصحابنا أنّه أشكل عليه من أعضائه الفرج وقال لا نجد ذلك في الكتاب والسنّة أنّه ذكر أو أنثى، فقيل له انّه أنزل في كتابه: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾[3]، فقال: أفدت وأجدت! وأودعه كتابه[4].

ودخل إنسان على مُعاذ بن مُعاذ[5] في أيّام التشريق - وهو شيخ جليل من مشايخنا - وبين يديه لحم سكباج يأكله، فسأل عن مسألة التشبيه، فقال: هو والله مثل الّذي بين يديّ، لحم ودم[6].

وشهد معتزليّ عند مُعاذ بن مُعاذ وعُدِّل، فقال: لقد أحببت أن أسقطك

---

(1) تبصرة العوامّ: 80 وانظر الملل والنحل للشهرستاني (بيروت - 1981): 54 و80 حيث ينقل ما يشبه ذلك عن داود الجواربي، وكذا الأنساب للسمعاني، ذيل مادّة الجواليقي واعتقادات فرق المسلمين والمشركين لفخر الدّين الرازي (بيروت - 1986): 84.

(2) هو أبو بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، من ائمّة الحديث. توفّي سنة 311. طبع له كتاب «التوحيد وإثبات صفة الربّ»، وهو الّذي يشير إليه المؤلّف أعلاه. قال في الشافي 4 : 135: «وقد صنّف محمّد بن إسحاق بن خزيمة كتاباً يسمّى كتاب التوحيد وذكر فيه عضواً عضواً..».

(3) سورة آل عمران (3) : 36.

(4) نقله الرّازي في تبصرة العوامّ: 80.

(5) هو مُعاذ العنبري الّذي مرّ ذكره آنفاً.

(6) جاء في الفِصَل لابن حزم (الرياض - 1402) أنّ داود الجواربي زعم أنّ ربّه لحم ودم، ونسبه في 5: 75 إلى أبي شعيب القلاّل، وفي شرح رسالة الحور العين لنشوان الحميري: 149 أنّ المقاتليّة أصحاب مقاتل بن سليمان زعموا أنّ الله لحم ودم وله صورة كصورة الإنسان.

لكنّك عُدّلت، لأنّي سمعت أنّك تلعن حمّاد بن سلمة[1]. فقال: أمّا حمّاد فلم ألعنه، ولكن ألعن من روى أنّه تعالىٰ ينزل يوم عرفة[2] على جمل أحمر في قميص من ذهب، فإن كان حمّاد يروي هذا فهو ملعون. فقال: أخرجوه! فأخرجوه.

وعن محمّد بن أبي الأسود خرجنا إلى المصلّىٰ يوم عيد، وإذا جماعة مع الأمير يضرب بالطبول ويؤتى بالأعلام. فقال واحد من خلفنا: اللّهمّ لا طبل إلاّ طبلك! فقيل له: لا تقل فليس لله طبل. فبكى وقال: أرأيتم هو يجيء وحده ويجلس وحده ولا يضرب بين يديه طبل ولا ينصب له علم؟ إذاً هو أدون من هذا الأمير![3] فانظر كيف ردّ على هذا المعتزلي.

وروى مشايخنا أنّه تعالىٰ أجرى خيلاً فخلق نفسه من عرقها[4]، وأنّه لما أراد خلق آدم نظر في الماء فرآى نفسه فخلق آدم على صورته[5].

ورووا أنّه تعالىٰ يضحك حتى تبدو نواجذه[6].

---

(1) هو حمّاد بن سلمة بن دينار البصري، مفتي البصرة وأحد رجال الحديث. توفّي سنة 167.

(2) أنظر باب نزول الربّ يوم عرفة في الرّد على الجهميّة للدّارمي (ليدن ـ 1960): 35 وليس في روايات الباب أنّه يكون على جمل أحمر في قميص من ذهب.

(3) نقله الرّازي في تبصرة العوامّ: 80 وفي المطبوعة منها «قحيب بن الأسود» بدل محمّد بن أبي الأسود.

(4) انظر النقض على بشر المريسيّ للدّارمي (القاهرة ـ 1358): 143/ تبيين كذب المفترى لابن عساكر (دمشق ـ 1347): 369.

(5) أنظر كتاب الشريعة للآجرّي (القاهرة ـ 1950): 315 - 316.

(6) أنظر كتاب الشريعة للآجرّي: 277 - 284/ كتاب التوحيد لابن خزيمة (القاهرة ـ 1968): 230 - 240/ النقض على بشر المريسي: 174 - 182/ الأسماء والصفات للبيهقي (جدّة ـ 1413) 2: 401 - 414. وليس في روايات الباب لفظة «حتّى تبدو نواجذه»، فلاحظ.

ورووا أنّه أمرد جعد قطط[1] في رجليه نعلان من ذهب، في روضة خضراء على كرسيّ تحمله الملائكة[2]، وأنّه يضع رجلاً على رجل ويستلقي[3] وأنّها جلسة الرب.

ورووا أنّه خلق ملائكته من زغب ذراعيه.

ورووا أنّه يحاسب النّاس يوم القيامة وهو على صورة آدم[4].

ورووا أنّ له حجباً يحجبونه[5].

ورووا أنّه اشتكت عينه فعادته الملائكة[6].

ورووا عن النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - قال: رأيت ربّي في أحسن صورة فسألته فيم يختلف الملأ الأعلى فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها فعلمت ما اختلفوا فيه[7].

---

(1) انظر النقض على بشر المريسي: 88 و163 - 164 و186/ تبصرة الأدلّة للنسفي 1: 119/ حواشي الكوثري على اختلاف اللفظ لابن قتيبة: 46.

(2) كتاب التوحيد لابن خزيمة: 198.

(3) النقض على بشر المريسي: 183.

(4) أنظر العلو للعلي الغفّار للذهبي (المدينة - 1388): 74 لما يشبهه بعض الشيء.

(5) الرّد على الجهميّة للدارمي: 30 - 31/ النقض على بشر المريسي له: 169 - 173/ الأربعين لأبي إسماعيل المروزي: 56.

(6) كتاب الزّينة لأبي حاتم الرّازي (بغداد - 1392): 267/ الملل للشهرستاني: 45/ نهج الحقّ للعلاّمة الحلّي: 56/ مفتاح الكرامة له: 84.

(7) تفسير الطبري 7 : 247 (من طبعة شاكر)/ التوحيد لابن خزيمة: 215 - 219/ الرّد على الجهميّة لابن منده: 89 و90/ الأسماء والصّفات للبيهقي: 299 و445/ العلل المتناهية لابن الجوزي (بيروت - 1983) 1 : 30 - 33.

وَرَوَوا أنّه ينزل إلى سماء الدّنيا في النصف من شعبان[1].

ورووا أنّه جالس على العرش وقد فضل منه أربع أصابع[2] فيقعد معه النبيّ[3] ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ وذلك المقام المحمود[4].

ورووا أنّه يأتي يوم القيامة فيقول: أنا ربكّم! فيقولون: نعوذ بالله منك! فيقول: أتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: بيننا وبينه علامة! فيكشف لهم عن ساقه وقد تحوّل في الصورة الّتي هو عليها فيعرفونه[5].

ورووا أنّ العرش إذا رضي الله خفّ وإذا غضب ثقل فيعرف بذلك حملة العرش غضبه ورضاه[6].

ورووا أنّه يأتي في غمام تحته هواء وفوقه هواء[7].

ورووا أنّ له خنصراً وبنصراً وإبهاماً، فتركوا السبّابة والوسطى وعدّوا بأصابعهم[8].

---

(1) التوحيد لابن خزيمة: 136/ الردّ على الجهميّة للدّارمي: 34 - 35.

(2) تفسير الطبّري 5 : 400 (من طبعة شاكر)/ التوحيد لابن خزيمة: 106/ كتاب العظمة لأبي الشيخ الاصبهاني (الرّياض - 1408) 2 - 548/ تاريخ بغداد 8 : 52/ مختصر زوائد مسند البزّار لابن حجر العسقلاني 1 : 96/ العلل المتناهية 1 : 120.

(3) مقالات الاسلاميين للأشعري (القاهرة - 1367) 1 : 261.

(4) العلّو للعليّ الغفّار: 94 و99 و143.

(5) في شرح النهج: في الصّورة الّتي يعرفونها فيخرّون له سُجّداً. والرّواية في صحيح البخاري (طبعة ليدن) 4:461-463/ صحيح مسلم (القاهرة ـ 1374)1:164 و168 - 169.

(6) مقالات الإسلاميّين 1 : 261/ تبصرة العوامّ: 81. وانظر الكافي للكليني 1 : 131.

(7) العلّو للعليّ الغفّار: 19.

(8) تبصرة العوامّ: 81.

وقال بعض المعتزلة يوماً ـ وقد حضر مجلسنا ـ : أنتم يا معشر المشبّهة تروون الحديث وضدّه، كما قال بِشر بن المعتمر[1]:

يروي أحاديث ويروي نقضها   مخالف بعض الحديث بعضها[2]

ثمّ تصحّحون الجميع ولا تعرفون وتروون ما لا تعلمون. مثلكم كما قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً﴾[3]. ثمّ أخذ في رواية معايب مشايخنا فقال: من عجيب أمركم أنّ شيخاً من شيوخكم روى حديثاً فقال: حدّثني فلان عن فلان عن النبيّ عن جبريل عن الله عن رجل! فقيل: هذا لا يكون. فنظروا فإذا هو عزّ وجلّ[4].

وذكر الفقيه أبو الأسود أنّه كان بطبرستان قاصّ يقصّ من المشبّهة، فقال [يوماً في قصصه]: إنّ يوم القيامة تجيء فاطمة ومعها قميص الحسين تلتمس القصاص من يزيد، فلما يراها الله من بعيد يقول ليزيد: أدخل تحت العرش لا تظفر بك فاطمة، فيدخل [ويختبيء]، وتتظلّم فاطمة بين يدي الرب وتبكي، فيقول لها الربّ: يا فاطمة! أنظري إلى قدمي به جرح من سهم نمرود وقد عفوت عنه فاعفي عن يزيد، فعفت عنه[5].

---

(1) هو أبو سهل بشر بن المعتمر الهلالي البغدادي، من كبار المعتزلة. توفّي سنة 210.

(2) نسبة أبو حاتم الرازي في كتاب الزينة: 267 إلى «بعض الملحدين» (كذا في المطبوعة ولعلّه من خطأ النسخة). وذكر القاضي عياض في ترجمة الباقلّاني من كتابه ترتيب المدارك (بيروت ـ 1967) 4 : 590 أنّ قاضي قضاة عضد الدولة بشيراز ـ واسمه بشر بن الحسين المعتزلي ـ قال له: «هؤلاء أصحاب تقليد ورواية، يروون الخبر وضدّه ويعتقدونهما صحيحاً».

(3) سورة الجمعة (62) : 5.

(4) المحاضرات للراغب 1 : 108.

(5) نقله الرّازي في تبصرة العوامّ: 80.

وروى آخر حديثاً فقال: وجدت في كتابي «الرسول» ولا أجد «الله» فاكتبوا: «شكّ الشيخ في الله»!

ومرض أبو علي الحافظ النيسابوري[1]، فدخل عليه أبو القاسم الزجاجي[2] يعوده، فأخرج إليه كتاب وصيّة يشهده عليه، فقال: هذه وصيّة لابنتك وهذا لا يجوز، قال: لا نأخذ بقياسكم وإنّما نقول بالأحاديث. فقال: ليس هذا بقياس، هذا نصّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ: لا وصيّة لوارث[3]. قال: هذا الحديث معي مكتوب مسموع بستّة عشر إسناداً لكن لم أعرف أنّ الوصيّة للبنت لا تجوز.

ودخل بعض الفقهاء علىٰ يحيى بن مَعين[4]، فلمّا خرج من عنده سئل عنه فقال: دينه شكّ وفتياه وقف وكلامه طعن! قيل: كيف؟ قال: إذا قيل له أمؤمن أنت؟ قال إن شاء الله، وإذا سئل عن مسألة روى أقاويل النّاس، فإذا قيل له بم تأخذ؟ وقف، وإذا قيل له قَتادة[5] قال قدريّ، وإذا قيل جابر[6] قال رافضيّ. ثمّ أنشأ يقول:

---

(1) هو الحسين بن علي بن يزيد بن داود النيسابوري، من كبار حفّاظ الحديث في عصره. سمع من النسائي وأبي يعلى الموصلي وكثير ممّن في طبقتهما وأخذ عنه الحاكم صاحب المستدرك وكثيرون آخرون. توفيّ سنة 349.

(2) في الشافي 1 : 136 «وهو قاضي نيسابور». ولعلّه أبو القاسم إسماعيل بن محمّد الزّجاجي، شيخ الدارقطني (الأنساب للسمعاني 6 : 274).

(3) البخاري 2 : 187/ أبو داود 3 : 114 (رقم 2870)/ الترمذي 6 : 294 - 297 (رقم 212 - 2122)/ ابن ماجه 2 : 905 - 906 (رقم 2714 - 2713)/ النسائي (القاهرة ـ 1930) 6 : 247/ الدارمي 2 : 419/ مسند أحمد 4 : 186 و187 و238 و239 و5 : 267.

(4) هو يحيى بن معين بن عون بن زياد البغدادي، من أئمّة الحديث. عاش ببغداد ومات بالمدينة سنة 233.

(5) قتادة بن دعامة الدوسي البصري، من حفّاظ الحديث. كان يرى القدر. مات سنة 118.

(6) جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، تابعي، من رجال حديث الشيعة. مات سنة 128.

ولابن مَعين في الرّجال مقالة سيسأل عنها والمليك شهيد
فإن كان صدقاً فالمقالة غيبة وإن كان كذباً فالعذاب شديد[1]

وأنشد بعض المعتزلة يوماً بحضرة جماعة من مشايخنا، مشافهاً لهم:

يا خائضاً في غمرة الشكوك مفكّراً في صفة المليك
كفكرة المشبّه الركيك فكرك فيه مالك الملوك[2]
ومالك ليس بذي شريك لا يدرك المالك بالمملوك[3]

وحضرت يوماً مجلساً قد جمعهم وإيّانا، فقال بعض المعتزلة لبعض المشبّهة: أتقولون لله يد؟ قال: نعم، قال: لِمَ؟ قال: لقوله تعالى ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[4]، قال: فقل له يدان لقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبسوطَتَانِ﴾[5]، قال: كذا أقول[6]، قال: فقل له ثلاثة أيدي لقوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا﴾[7]. فانقطع. ثمّ قال له: أتقول له عين؟ قال: نعم. قال: لِمَ؟ قال: لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلىٰ عَيْنِي﴾[8]. فقال له:

---

(1) في الشافي: فان يك صدقاً.. وإن يك كذباً..
(2) هذا البيت ساقط من النسخة اليمنيّة.
(3) يشبه شعر الصاحب وليس في ديوانه.
(4) سورة الفتح (48) : 10.
(5) سورة المائدة (5) : 64.
(6) أنظر النقض على بشر المريسي للدّارمي: 38 حيث يذكر أنّ نافع الجمحي سأل ابن أبي مليكة عن يد الله أواحدة أم اثنتين؟ قال بل اثنتان، ونسب ذلك إلى أبي العبّاس القلانسي أيضاً في مجرّد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري لابن فورك (بيروت - 1987): 326.
(7) سورة يس (36) : 71.
(8) سورة طة (20) : 39.

فقل له أعين لقوله تعالىٰ: ﴿تَجْري بِأَعْيُنِنا﴾[1] ثمّ قال: ألستم تقولون انّ كلتا يديه يمين؟[2] قال: بلى! قال: وهل شيء أقبح من هذا؟ فانقطع.

ولمّا فشى ذكر الصورة والأعضاء بين مشايخنا وقامت المعتزلة في الردّ عليهم وصنّفوا الكتب، ألقيت إلى كثير منهم أنّ المجادلة في الدين حرام وأنّ الحقّ في التقليد، وأنّ الواجب ألاّ يلتفت إلى كلام المعتزلة وجدالهم، فالصواب في التمسّك بما ألفيتموه عن سلفكم. فأمّا داود[3] وأحمد[4] وابن راهويه[5] وأمثالهم فقبلوا قولي وصوّبوا رأيي وأقاموا على اعتقادهم، وأمّا القلانسي[6] وابن كلاب[7] وطبقتهما فرأوا أنّ شيئاً من ذلك لا يصحّ على

---

(1) سورة القمر (54) : 14.

(2) انظر الروايات في ذلك في النقض على بشر المريسي: 36 و38 و155 - 156/ كتاب الشريعة للآجرّي: 321 - 322.

(3) هو داود بن علي بن خلف الاصفهاني، إمام الظاهريّة. مات سنة 270.

(4) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ، إمام الحنابلة. توفّي سنة 241.

(5) هو إسحاق بن إبراهيم بن راهويه التميمي المروزي من أئمّة الحديث. أخذ عنه أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم. مات بنيسابور سنة 238.

(6) هو أبو العبّاس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي، إمام السنّة في زمانه، زادت تصانيفه في الكلام على مائة وخمسين كتاباً (الفرق بين الفرق :364). توفي حوالي ٢٣٥ (أنظر عنه تبيين كذب المفتري لابن عساكر:398). ذكر آرائه الكلامية في كتب الكلام والفرق كالارشاد للجويني (القاهرة ـ 369):399/ اصول الدين لعبد القاهر البغدادي:293/ تبصرة الادلة للنسفي 1:146و 304 و 420 و 424 و 435 (حيث يذكره بعنوان أبي العباس أحمد بن إبراهيم القلانسي الرازي من متكلمي أهل الحديث) /مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري لابن فورك: 326 و330، وغيرها. ولابن فورك هذا الكتاب في مقارنة آراء الاشعري والقلانسي سماه كتاب اختلاف الشيخين.

(7) هو عبد الله بن محمد بن كلاب القطّان، من نابتة الحشويّة ورأس الفرقة الكلابيّة. مات بعد سنة 240. وهو أول من عرف عن القول بقدم كلام الله.

النظر فأوقعوا أنفسهم في تيه مجادلة المعتزلة. فقلت لا بدّ فيهم من تدبير، فألقيت إليهم أنّ اليد ليس هو الجارحة وإنّما هو صفة للباري، وكذلك العين والساق والجنب صفات، وأنّ الاستواء على العرش ليس هو الإستقرار ولكن صفة له.

فقالوا: أحسنت أنت! وطلبقوني ودمعزوني[1] وناظروا في ذلك ودوّنوا وصنّفوا.

وأنكرت المعتزلة ذلك أشدّ الإنكار، وبدأوا بالردّ عليّ وعليكم بأنّ هذا لا يعقل وهو فاسد لا دليل عليه، وهل هذا إلاّ نصرة عبّاد الأصنام وهدم الإسلام. والله المستعان.

فصل

فكرت وقلت: ليس في إثبات التشبيه أمر أقوى من إثبات الرّؤية، فألقيت إليهم أنّه تعالى يرىٰ، فوافقتموني فيه وقرّرتم عيني ورويتم فيه الأحاديث ووضعتم الأسانيد، ورويتم أنّ محمّداً ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ رأى ربّه ليلة المعراج وأنّه قعد معه على عرشه، وتأوّلتم الآيات على ذلك.

وقامت المعتزلة في الردّ عليّ وعليكم، وقالوا الرّؤية توجب التجسيم والتجسيم يوجب الحدوث، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ﴾[2]

---

(1) يريد أنّهم استحسنوا قوله وقالوا له أطال الله بقاءك وأدام الله عزّك. كما ورد في بيت لابن الحجّاج (نقله أحمد الخفاجي في شفاء الغليل: 129)

لكنّني كنت في محلّ مدمعزاً عندها مطلبق

(2) سورة الأنعام (6) : 103.

وبقوله ﴿لَنْ تَراني﴾[1]، ورووا عن عائشة أنّها سئلت هل رأى محمّد ربّه؟ فقالت: لقد قفّ شعري ممّا قلت ثلاثاً! من زعم أنّ محمداً رأى ربّه فقد أعظم الفرية على الله ورسوله[2] وقد قال تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ﴾[3]، ومن زعم أنّه يعلم ما في غد وقد قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْري نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً﴾[4] ومن زعم أنّه لم يبلّغ شيئاً وقد قال تعالى: ﴿بَلِّغْ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّك﴾[5]. وعنها وقد سئلت عن ذلك فقالت: أنا أوّل من سأله عن ذلك فقال: رآه قلبي ولم تره عيناي. ثمّ زادت المشايخ، فقالت الحنابلة بالمجالسة والمصافحة، وقالت الكرّاميّة[6] بأنّه يرى من فوق كما ترى السماء.

ولمّا قامت المعتزلة بالردّ عليهم في ذلك وعلم شيخنا الأشعري[7] أنّ ذلك لايتمّ على النظر قال يرىٰ بلا جهة وكيف، فجعله من باب ما لا يعقل - تلبيساً وتدليساً - وجرى ذلك في العامّة. غير هؤلاء المعتزلة فإنّهم قالوا زدت في الفساد، فإنّ القوم أثبتوا معقولاً وأنت أثبتّ شيئاً لا يعقل.

---

(1) سورة الأعراف (7) : 143.

(2) انظر مسلم 1 : 159 - 160 (رقم 177)/ الترمذي 8 : 228 - 229 (رقم 3070) و9: 28 - 29 (رقم 3274).

(3) سورة الأنعام :(6):103.

(4) سورة لقمان (31) : 34.

(5) سورة المائدة (5) : 67.

(6) هم أتباع محمّد بن كرّام السجزي النيسابوري، الماضي ذكره. بقوا في خراسان حتّى أوائل القرن السابع الهجري. وكانوا يقولون بأنّ الله تعالى مستقرّ على العرش وأنّه جوهر، إلى غير ذلك من آرائهم الشاذّة.

(7) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، إمام المذهب الأشعري. ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة 324.

فصل

فكرت وقلت: من أصول هذا الباب إثبات المكان، فألقيت إليهم أنّه تعالى في مكان وأنّه على العرش، فقبلتم أحسن قبول واعتقدتم ذلك وناظرتم فيه. غير هؤلاء المعتزلة فإنّهم قالوا المكان يوجب التجسيم، والجسم يكون محدثاً. وقالوا: ما جاز أن يكون في مكان جاز أن يكون في غيره، وذلك يوجب جواز الحركة والسكون والزوال والإنتقال. وقالوا: ما الفرق بين ملك على سريره وبين الربّ على كرسيه على هذا المذهب؟ وهل هذا إلاّ مناقض لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] وقوله ﴿وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[2].

حضرت يوماً مجلساً وفيه جماعة من مشايخنا ومن المعتزلة، فجرت مسألة العرش، فقال شيخ منّا: إنّه تعالى يقول: ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ﴾[3] ولفظة على تقتضي الفوق. فقال المعتزلي: فقل في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلىٰ رَبِّهِمْ﴾[4] أنّهم فوقه. فانقطع. وروى بعضهم أنّه تعالى خلق آدم على صورته، فقال المعتزلي: فإذاً يجب أن يكون مؤلّفاً مركّباً محدثاً كما كان آدم. قال: فما معنى الحديث؟ قال: إن صحّ فالمراد ما قيل أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ رأى رجلاً فقال إنّ آدم كان على صورته، وقيل أراد أنّه خلقه على ما كان عليه من غير انتقال من حال إلى حال. فقالوا: الصّواب أن لا نمكّن المعتزلة من حضور مجالسنا

---

(1) سورة الشورى (42) : 11.

(2) سورة ق (50) : 16.

(3) سورة طه (20) : 5.

(4) سورة الأنعام (6) : 30.

والكلام في أنديتنا فإنّهم يشوّشون علينا المذهب، فأخرجوه. فخرج وهو يقول:

فلو كنت الحديد لفلّقوني ولكنّي أشدّ من الحديد[1]

ولقد زادت مشايخنا من الكرّاميّة، فقالوا إنّه تحلّه الأعراض وتخلو منه كما في الأجسام سواء. وزادت الحنابلة فقالوا بالصعود والنزول. وأنكرت المعتزلة ذلك فقالوا: ليس له مكان ولا يجوز عليه الإنتقال ولا تحلّه الأعراض، إذ لو جاز أن يحلّه بعض الأعراض جاز أن يحلّه الجميع، وليس ما حلّه العرض إلاّ محدثاً.

(1) البيت في عيون الأخبار لابن قتيبة 1 : 256 (طبعة دار الكتب) منسوباً إلى رجل من بني الديل، وفيه: «لكسّروني».

الباب الثالث

في العدل

تأمّلت أحوال هذه الملّة فوجدتهم بأجمعهم يقولون إنّه تعالىٰ عدل لا يظلم ولا يجور، إنّ جميع أفعاله حقّ وجميع أقواله صدق، وذكروا أنّ ذلك معلوم من دين النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - ضرورة وأنّ الكتاب نطق به نصّاً، وعلمت أنّي لو دعوتهم إلى مخالفة هذا الظاهر لا يروج ولا يقبل. فدعوتهم إلى أمور تفصيلها نقض هذه الجملة وإثباتها رفع هذه الكلمة. فأوّل ما ألقيت إليهم أنّه تعالى لا يقبح منه شيء لأنّ الأمر أمره والملك ملكه، وأنّه ليس بمأمور ولا منهيّ ولا مملوك ولا مربوب وإنّما يقبح الأمور لهذه الوجوه. ثمّ ثنيّت عليه أنّ جميع القبائح منه، وأنّه يخلق الكفر ثمّ يعذّب عليه، وأنّه يعذّب بغير ذنب ويعذّب واحداً بذنب آخر، وأنّه يخلق للنار قوماً ويكلّف ما لا يطاق، إلى غير ذلك. فقابلتموني بالقبول وصدّقتموني في ما أقول ودنتم به ونصرتموه.

وأنكرت المعتزلة هذا الأصل أشدّ الإنكار، وقاموا وقعدوا في إبطاله، وقالوا هذا ينقض الأصل المجمع عليه وما أشارت النصوص إليه، وقالوا: لا ظلم أعظم من أن يعذّب بغير ذنب أو يخلق الكفر ثمّ يعذّب عليه، وذكروا أنّ القبيح قبيح من كلّ فاعل وأنّه يقبح لوجه يرجع إليه، ودلّوا علىٰ ذلك بأنّه لو قبح للنهي لحسن للأمر فكان لا يحسن منه شيء، وقالوا: لو جاز ما قلتم لجاز أن يظهر المعجز على [أيدي] الكذّابين فيحسن منه، ولجاز أن يكذب في اخباره فيحسن، ولجاز أن يرسل رسولاً يدعو إلى الباطل

فيحسن. وقالوا: لو قبح للنهي لاختصّ بمعرفته من عرف النهي. وأيّدوا كلامهم بآي من الكتاب وبكثير من الأخبار عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ وأصحابه.

فأمّا أنتم إخواني وسادتي فما خالفتموني في ذلك كصنيع المعتزلة، بل قبلتم ورويتم في ذلك الأحاديث وقلتم: إنه يعذّب الأطفال بذنوب الآباء، ويحمل ذنوب المسلمين على اليهود والنصارى، وانّه لو عذّب الأنبياء وأثاب الفراعنة لما يقبح منه، ولو أضلّ العالمين وعذّبهم لا يقبح، وانّه خلق عبادة الأوثان وسبّ نفسه وقتل الأنبياء والأولياء وكلّ كفر وضلال.

اجتمع عندي نفر من مشايخنا ومن المعتزلة، فإذاً قرأ قارىء: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾[1]، فقال رجل من المعتزلة: لا أحد أشدّ حبّاً لله من المعتزلة، فقيل له: لِمَ؟ قال: لأنّهم قالوا هو المنعم بضروب من النعم ومنه كلّ الخيرات ولا شرّ في أفعاله ولا قبح في قضاه ولا خلف في مقاله، يرجى من عنده كلّ خير ويؤمن كلّ شر، يثيب على الطّاعات ويعفو عن السّيئات، ومن كان هذا حاله فلا حُبّ فوق حُبّه، والمجبرة تزعم أنّ كل شرّ من عنده وأنّه لا يؤمن شرّه بل لا يؤمن من عبده مائة سنة أن يدخله النار وأن يخلق فيه الكفر وينزله مع الكفّار، فمن هذا اعتقاده فيه كيف يحبّه؟

وقصّ سيفويه القاصّ[2] فقال في قصصه: من أنت حتّى لا يظلمك الله

(1) سورة البقرة (2) : 165.

(2) ورد ذكره وبعض أخباره في البيان والتبيين للجاحظ 2 : 239 ونثر الدرّ للآبي 4 : 273 - 288 والبصائر والذخائر لأبي حيّان التوحيدي (دمشق ـ 1966 بتحقيق ابراهيم الكيلاني) 4 : 58، 60، 62، 86 وأخبار الحمقى والمغفّلين لابن الجوزي (النجف ـ 1386): 122 - 123 وكتاب القصّاص والمذكّرين له (بيروت ـ 1971): 110 - 111 وغيرها.

يا عاضّ بظر أُمّه؟ نعم يظلمك هواناً لك ويعذّبك بغير جرم ويخلق فيك الضلال ويأخذك به ويكلّفك ما لا تستطيع. فقام معتزليّ من بين المجلس وقال: تبّاً لك مع هذه المقالة، هذا سوء ثناء علىٰ ربّ العالمين. فقال: أخرجوه ولا تستمعوا إليه.

وذكر أبو عامر الأنصاري وهو عدليّ لمجبر: تعال حتّى نصدق ونتصف وننصف، أليس يجوز عندك أن يعذّب الله رجالاً لِمَ لَمْ يكونوا نساءً، ويعذّب نساءً لِمَ لَمْ يكونوا رجالاً، ويعذّب سوداً لِمَ لَمْ يكونوا بيضاً، ويعذّب بيضاً لِمَ لَمْ يكونوا سوداً، كما يعذّب الكفار - مع خلقه الكفر فيهم - لِمَ لَمْ يكونوا مؤمنين، ويكون ذلك منه حسناً وعدلاً وإن كان مثل ذلك منّا جوراً؟ قال: نعم. قال: فهلاّ يجوز أن يقول: أهلكت عاداً ولم يهلكهم، وأقيم القيامة ولا يقيمها، ولا يكون ذلك كذباً منه وإن كان كذباً منّا؟ فسكت. ثمّ قال: لا قَوْلَ أشنع من هذا، لقد عزمت على الرجوع ورجعت عن هذا القول. فقام القوم إليه بالنعال وقالوا: أتوهن مذهبنا وتضعف مقالتنا؟

وقرأ قارئ قوله تعالى: ﴿فأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾[1]، فقال معتزليّ يكنّى أبا عمران[2]: لو كان الأمر كما تزعمونه يا معشر المجبرة لكان لهم أن يقولوا يُذْهَب بنا، فلم يكن لهذا القول معنى. كما روي أنّ مجبراً سئل أين تذهب؟ فقال: لا أدري! حيث يُذْهَب بي، ثمّ قال: وهل هذا إلاّ صفة

(1) سورة التكوير (81) : 26.

(2) لعلّه أبو عمران الرقاشي أو أبو عمران يونس بن عمران، وكلاهما من متكلّمي المعتزلة في القرن الثالث (راجع طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبّار: 279 و283 - 284 من طبعة فؤاد سيّد).

المجنون؟ وكما يحكى عن أبي العيناء[1] أنّ رجلاً وقع في الماء فقيل له أين تذهب؟ فقال السؤال على الماء!

وسئل معتزليّ: لِمَ قلت إنّ الله تعالى لا يضلّ؟ قال قوله: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾[2] فأمره أن ينسب الضّلالة إلى نفسه ورضي بهذا القول له مذهباً، أفلا ترضون بذلك؟ فانقطع المجبرة[3].

(1) هو محمّد بن القاسم البصري الهاشمي، من ظرفاء الدهر. اشتهر بنوادره ولطائفه. مات سنة283.

(2) سورة سبأ (34): 50.

(3) كتب في هامش هذه الصفحة من الأصل بخطّ مشابه لخطّ الأصل ما يلي:

«ذكر السّيد أبو طالب الحسنى في كتابه الموسوم بملحق الافادة: حدّثني مشايخنا أنّ محمدّ بن جرير لعنه اللّه! حضر مجلس الداعي محمّد بن زيد وكان أبو القاسم البلخي حاضراً فقيل لمحمد بن جرير: سل أبا القاسم عن مسألة، فقال له ابن جرير: أتقول ان اللّه يملك السماوات والأرضين وجميع ما يحدث فيهما؟ فقال أبو القاسم: نعم، فقال ابن جريرٌ :إذا كان اللّه مالكاً لجميع ما يحدث في السماوات والأرضين فما الذي تنكر من أنه خالق له؟ فقال له أبو القاسم - وأومى الى غلمان أتراك كانوا وقوفاً حوالي سرير الداعي - أتقول انّ هؤلاء الغلمان قد ملكهم الداعي وهو ما لك لهم؟ قال: فالداعي خلقهم؟ فخجل ابن جرير المجبر لعنه اللّه!»[1]

«ذكر أبو أحمد الحسن بن [عبد الله بن]سعيد العسكري في الكتاب الموسوم بالمواعظ والزواجر: حدثنا محمد، قال حدثنا عبيد بن الحسن بن يوسف، قال حدثنا سليمان بن داود، قال حدثنا حفص بن غياث، عن حجاج، عن [ابن أبي] مليكه، عن ابن عباس، قال: سبحان الله تنزيه الله نفسه عن السوء» [2]وكيف ينزه الله من يزعم أن السوء كله من الله؟»

1 القصة في نثر الدرّ للآبي 7: 197 - 198

2 فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة :146/ جمع الجوامع للسيوطي 2339 (رقم 1458).

فصل

وممّا ألقيت إليكم من هذا الجنس أنّ الله تعالى يضلّ عن الدّين ويخلق الضلالة عن الحقّ المستبين ويزيّن الكفر في قلوب الكافرين ويكره إليهم الإسلام والمسلمين، فقبلتم ذلك منّي وقلتم صدقت!

وأنكرت المعتزلة ذلك أشدّ الانكار، وقالوا: هذا يهدم الدّين ويناقض كلام ربّ العالمين، وتلوا: ﴿وأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَما هَدىٰ﴾[1] ﴿وَأَضَلَّهُم السّامِرِيُّ﴾[2] و﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النّاسِ﴾[3]، وقالوا: يستحيل أن يأمر بشيء ويحثّ عليه ثمّ يضلّ عنه، وينهي عن شيء ثمّ يخلقه فيه.

وقال بعض المعتزلة لمجبر: ممّن الحقّ؟ قال: من الله، قال: فمن الحقّ؟ قال: الله. قال: فممّن الباطل؟ قال: من الله. قال: فمن الباطل؟ فسكت[4].

واجتمع عند جعفر بن سليمان[5] أبو الهذيل[6] ومكنف المجبر وهو لا

---

(1) سورة طه (20) : 79.

(2) السورة نفسها: 85.

(3) سورة ابراهيم (14) : 36.

(4) ذكرت القصّة في الفهرست لابن النديم: 205 (من طبعة تجدّد، طهران - 1391 وهي ساقطة من طبعة فلوجل) كمناظرة بين عمرو بن فائد المعتزلي وأبو المنذر سلاّم القارىء المجبر. وانظر أيضاً الطرائف لابن طاوس : 331 ومصابيح الأنوار لشبّر 1 : 146 وتفسير القرآن الكريم لصدر الدّين الشيرازي (قم - 1408) 1 : 326.

(5) لعلّه جعفر بن سليمان بن علي العباسي، والي المدينة للمنصور ووالي البصرة للرشيد، وهو الّذي ضرب مالك بن أنس بالسياط. مات بالبصرة (المعارف لابن قتيبة: 376 من طبعة القاهرة - 1960).

(6) هو محمّد بن الهذيل البصري العلاّف، من كبار المعتزلة. توفّي بسامراء سنة 235.

يعرف أبا الهذيل. قال أبو الهذيل: أريد أن أسألك شيئاً وأتعلّم منك. فقال: سل. فقال: أخبرني عن طفل بلغ فوقع في قلبه أنّ الله واحد، من أوقع ذلك في قلبه؟ فقال: الله. فقال: أوقع في قلبه الحقّ وصدّقه في ما ألقاه؟ قال: نعم. قال: وآخر بلغ ووقع في قلبه أنّ الله ثالث ثلاثة، من أوقع ذلك في قلبه؟ قال: الله. قال: فألقى إليه الحقّ وصدّقه في ما ألقاه؟ فسكت مكّنف. فقال له جعفر: يا حمار! هذا أبو الهذيل.

ودعى مجبر مجوسياً إلى الإسلام، فقال: الأمر ليس إليّ. فقال: صدقت! ومضى.

وحضر غلام عبد الله[1] بن داود[2] - وكان مجبراً - مجلساً، فقرأ قارىء ﴿ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾[3]، قال: هو الله منعه، ولو قال إبليس ذلك كان صادقاً، وقد اخطأ إبليس الحجّة، ولو كنت حاضراً لقلت: أنت منعته[4]. فقال معتزليّ من طرف المجلس: بعداً لك وسحقاً! أتحتجّ لإبليس ولم يحتجّ لنفسه؟ فانقطع[5]. فقرأ قارىء ﴿وَأَنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتي إِلىٰ يَوْمِ

(1) في الأصل: عبد أمية.

(2) ورد ذكره في عداد متكلّمي المجبرة في الفهرست لابن النديم: 181 (طبعة فلوجل). والظاهر أنّه أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود الخريبي الكوفي، المحدّث، المتوفّى سنة 211 (معجم البلدان لياقوت 2 : 431 من طبعة ووستنفلد) أو 213 (المعارف لابن قتيبة: 520 من طبعة القاهرة - 1960). وانظر العلو للعليّ الغفّار للذهبي: 119 حيث ينقل كلاماً له في قدم القرآن.

(3) سورة ص (38) : 75.

(4) نقل البياضي هذه القصّة عن مؤلفنا الحاكم في كتابه الصراط المستقيم 38:1

(5) كتب في هامش الأصل بخط مشابه لخط الأصل ما يلي:
«وعندي أن يعترض هذا المجبر على وجه آخر وأن يقال له: أنت أشفق للشيطان منه على نفسه. أوما سمعت قول ابليس حيث قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾؟ حكى =

الدّين﴾[1] فقال المعتزلي: معاشر المجبرة! أليس الله تعالى قد لعن أشياء وأقواماً؟ قالوا: بلىٰ. قال: فهل في العالم غيره وغير خلقه؟ قالوا: لا. قال: فيلعن نفسه أو خلقه؟ فتحيّر القوم وانقطعوا.

وقال معتزليّ لمجبر: الزنا خيرٌ للزاني أم تركه؟ فقال: الزنا. قال: لِمَ؟ قال: لأنّ الله قضي ذلك عليه، وقضاء الله له خيرا فقال: تباً لك! أتقول أنّ الزنا خيرٌ من الأحصان؟

ونظيره ما يحكى عن بعضهم أنّه قال: لزنية أزنيها أحبّ إليّ من عبادة الملائكة! فقيل له: ولِمَ؟ قال: لعلمي بأنّ الله تعالى قضاها عليّ، ولم يقض إلاّ ما هو خير لي[2].

وخطب بعض المعتزلة فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصّلاة على النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - : أيّها النّاس! لا أحد أقبح ثناءً علىٰ ربّ العالمين من هؤلاء المجبرة حيث قالوا إنّ الله يأمر بما لم يرده وينهى عما

= محمّد بن عبد الحميد عن محمّد كياء البخاري، قال حدّثني إصفاهان بن علي - وهو والد الشيخ ظ - قال: حضرت مجلس مجبر بقزوين وكان المجبر رجلاً عالماً فسئل بأي [شيء] كفر إبليس؟ فقال: قد قال علماؤنا في ذلك كلاماً ولكن عندي وجه آخر لا يمكن لأحد أن يعترض عليه، فإنّما كفر لأنّه قال ﴿لأغوينّهم أجمعين﴾ فأضاف الإغواء إلى نفسه وهو من الله لا من فعل ابليس، فلذلك كفر. قال الفقيه اصفاهان: ما كنت أعرف شيئاً يمكن أن يعترض عليه، وسألت كثيراً من علمائنا فما أجابوا بشيء. فقلت لفقيهنا البخاري: ما تقول في اعتراضه؟ فقال: لا أدري. فقلت: عندي اعتراض على هذا الكلام بحيث يجعله كأن لم يكن. فقال: ما هو؟ قلت: تقول له ما كفر ابليس لهذا وإنّما كفر لقوله الآخر حيث قال ﴿ربِّ بما أغويتني﴾ فأضاف الإغواء إلى الله وهو من فعل إبليس، فكفر لهذا لأنّه قال إنّ الله ظالم حيث أغواه ثمّ يعاقبه على ذلك. فاستصوبه استاذي محمّد كياء البخاري».

(1) سورة ص (38) : 78.

(2) نقل البياضي هذه القصّة عن مؤلّفنا الحاكم في كتابه الصراط المستقيم 3: 66.

أراد ويقضي بما نهى عنه ثمّ يعذّب عليه، وانّه يخلق فعلاً ثم يقول لِمَ فعلتم؟ ويغضب على ما خلق وقضى وأراد، ويأمر بشيء ويحول بينه وبين ما أمر به، ويقضي أمراً ثمّ يأمر القضاة والولاة والغزاة بردّ ما قضى وقدّر وأراد وخلق، وأمر بحدود تقام على شيء خلقه، فأمر بجلد الزّاني - وخلق فيه الزّنا - وقطع يد السارق - وهو الّذى قدّر عليه السرقة - ، وجعل مال زيد رزقاً لعمرو وخلق أخذه ثم قال لِمَ أخذت؟ وعاقبه عليه، وانّه خلق الكفر وكره الإيمان وبعث الأنبياء دعاة إلى خلاف مراده وضدّ قضائه. فانظر إلى سوء ثنائهم على ربّهم، وانظر إلى حسن ثناء أهل العدل عليه حيث قالوا: إنّه حكيم أمر بما أراد ونهى عمّا كره، وقضى الإيمان ورضيه وأحبّه وزيّنه، ونهى عن الكفر وكرهه وغضب عليه وسخطه، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾[1]، وانّه بعث أنبياءه بالحقّ ليدعوا إلى الحقّ الّذي أراده، وأنزل الكتاب ليهتدي به، وهدى إلى الدّين وما أضلّ أحداً من العالمين، وانّه يثيب من أطاعه ويعاقب من عصاه، فاحمدوا الله على هذا الدّين وقولوا: الحمد لله ربّ العالمين.

وسأل عدليّ مجبراً: هل تملك من أهلك ومالك شيئاً؟ قال: لا. قال: فما تملكه منهم جعلته في يدي؟ قال: نعم. قال: اشهدوا أنّ نساءه طوالق وعبيده أحرار وماله صدقة في المساكين. وكانت امرأته ممّن تقول بالعدل، فتحوّلت عن منزله وسألت العلماء، فأفتوا بوقوع ذلك كلّه. وصار ضحكة وسخرة[2].

---

(1) سورة الحجرات (49) : 7.

(2) نقله البياضي في الصراط المستقيم 3: 59 - 60.

وسأل جماعة عمرو بن فائد[1] - وهو معتزليّ - عن القدر، فقال: أقيموا ربّكم مقام رجل صالح، حتّى أنّكم إن كان ما قيل حقّاً فلا تعاتبوه وإن كان باطلاً فلا تتّهموه. وأنشد:

مـن لم يـكـن لله متّـهـمـاً   لم يمس محتاجاً إلى أحد

وأراد مجبر الخروج إلى مكة فودّع أهله وبكى، فقيل له: إستحفظهم الله! قال: ما أخاف عليهم غيره! فقال معتزليّ: كذبت! أتخاف منه وهو أرحم الراحمين؟

- وبعث محمّدبن سليمان[2] إلى رجل معتزلي ودعا بالسيف والنطع، فدخل وهو يضحك، فقال: أتضحك في مثل هذه الحالة؟ فقال: يا محمّد بن سليمان! أرأيت لو قام رجل في السوق فقال: إنّ محمّد بن سليمان يقضي بالجور ويجمع بين الزانيين ويريد الفواحش، فاعترضه رجل فقال: كذبت بل يقضي بالحقّ ولا يريد الجور ولا يفعل الفواحش، فأيّهما أحبّ إليك؟ قال: من دفع عنّي وأحسن الثناء عليّ. قال: فإذاً لا أبالي بالقتل بعدما أحسنت الثناء على ربّ العالمين. فانقطع ومن حوله من المجبرة، وقال محمّد: اذهب فلا تذكر إلاّ بخير[3].

وجاء رجل إلى منزل عبد الله بن داود[4] وكان غائباً، فلمّا رجع قال: كنت أصلح بين قوم. فقيل: أصلحت؟ قال: أصلحت إن لم يفسد الله!

---

(1) هو أبو علي عمرو بن فائد الأسواري البصري، من متكلّمي المعتزلة. توفّي حوالي سنة 200.

(2) هو محمّد بن سليمان بن علي العبّاسي، أمير البصرة في أيّام المهدي والرشيد. مات سنة 173.

(3) نقله البياضي في الصراط المستقيم 3 : 66.

(4) مضى ذكره. والقصّة مذكورة في الفهرست لابن النديم: 181 (من طبعة فلوجل).

فقال واحد: كذبت! إنّ الله لا يفسد بل هو المصلح. أتحسن الثناء على نفسك وتسيء الثناء على ربّك. فانقطع.

قال داود الإصفهاني[1] للموفّق[2]: قد أهلك الناس أبو مجالد[3]. قال: قطعك أبو مجالد، الله تعالى أهلك الناس أو أبو مجالد؟

ومرّ مُعاذ بن مُعاذ[4] بلصّ يقطع، فالتفت إليه وقال: إنّه لمظلوم، يخلق فيه السرقة ثمّ يؤمر بقطعه. قال عدليّ: أما رضيت يا جاهل بأن أضفت السرقة إليه تعالى حتّى نفيتها عن اللصّ، فأضفت إليه الأمر بالقطع على شيء فعله هو، ولو وصف بهذا قاض لكان سوء ثناءٍ فكيف بربّ العالمين.

وجاء خراسانيّ إلى أبي الهذيل وسأله عن العدل، فقال: يا خراساني من جاء بك من خراسان؟ قال: الله. قال: فمن جاء باللصّ حتّى قطع عليك الطريق؟ قال: الله. قال: فمن جاء بالسلطان حتّى قطع يده؟ قال: الله. قال: فاذاً الله فعل جميع ذلك حيث جاء بك من خراسان وجاء باللصّ ليذهب بمالك وجاء بالسلطان ليقطع يده، أهذا فعل حكيم؟ فانقطع وتاب.

ودعا مجبر فقال: يا ربّ! أفسدتنا فأصلحنا. فقال عدليّ: أسكت لا أمّ لك! هو المصلح.

---

(1) داود بن علي الظاهري. مضى ذكره.

(2) هو الموفّق بالله طلحة بن المتوكّل جعفر العبّاسي، آلت إليه ولاية عهد أخيه المعتمد وقام بأعباء الملك فعلاً، ولكنّه لم يل الخلافة إذ مات في أيّام أخيه سنة 278.

(3) هو أحمد بن الحسين البغدادي، من متكلّمي المعتزلة في القرن الثالث وأستاذ أبي الحسين الخيّاط مؤلّف الانتصار. توفّي سنة 298.

(4) هو معاذ العنبري، الماضي ذكره.

وقيل لهشام بن الحكم[1]: أترى أنّ الله يكلّف عباده ما لا يطيقون ثمّ يعذّبهم عليه؟ قال: والله قد فعل ذلك ولكن لا نجسر أن نتكلّم[2].

وعن بعضهم قال: رأيت مجبراً في المنام فقلت له: ما فعل بك ربّك؟ قال: هو على قولكم، قدريّ!

واجتمع جماعة بطرسوس يرمون الهدهد ويشتمونه، فقال لهم قائل: ما ذنبه؟ فقالوا: هو قدريٌّ حيث قال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أَعْمالَهُمْ﴾[3] فأضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان، وجميع ذلك فعل الله تعالى. قال: تبّاً لكم! أأنتم تنفون الذنب عن الشيطان وتضيفونه إلى الرّحمن؟

وذكر أبو محمّد المزني[4] ـ وكان ظريفاً ـ فقال: إذا أعطيت كتابي يوم القيامة قلت عرفت ما فيه ولكن أسأل عن شيء أتيته أنا باختياري أو خلق فيّ ولم أقدر على تركه؟ فإن قالوا «فعلته باختيارك» قلت: يا ربّ عبدك الضعيف أخطأ وأساء وعلى عفوك وفضلك توكّل، فإن عفوت فبرحمتك وإن عذّبت فبعدلك، وإن قالوا «بل خُلق فيك وقُضي عليك وأنت تعذّب عليه» قلت: يا معشر الخلائق! العدل الّذي كنّا نسمع به في دار الدنيا ليس هٰهنا منه قليل ولا كثير[5].

---

(1) هو أبو محمّد هشام بن الحكم الكوفي، من كبار متكلّمي الإماميّة. صنّف كتباً كثيرة. توفّي حوالي سنة 190.

(2) نثر الدرّ 7 : 198.

(3) سورة النمل (27) : 24.

(4) في اليمنيّة: المدني، وفي متشابه القرآن لابن شهر آشوب: 196 للمدائني، وفي تبصرة العوامّ: 264 محمّد المزني.

(5) نقله ابن شهر آشوب في متشابه القرآن: 196 والرازي في تبصرة العوامّ: 264 والبياضي في الصراط المستقيم 3 : 60.

وقال أبو الهذيل لحفص[1] القرد[2]: هل في المعلوم شيء إلاّ الله وخلقه؟ قال: لا. قال: يعذّب على نفسه أو على خلقه؟ فانقطع[3].

وقال معتزليٌّ لمجبر: لِمَ قلت بالاجبار؟ قال: ألقينا ذنوبنا على ربّنا واتّكينا على جنب! فقال: أيش ألزمكم بعد هذا؟

وقال آخر لمجبر: لِمَ سمّي الظالم ظالماً؟ قال: لأنّه فعل الظلم. قال: فمن خلق الظلم؟ قال: الله. قال: فهلاّ سمّيته ظالماً؟ فانقطع[4].

وقال آخر لمجبر: من نهى عن الزنا؟ قال: الله. قال: ومن خلقه وأراده؟ قال: الله. قال: ومن عابه وأوجب عليه الحدّ؟ قال: الله. قال: كيف نهى ثمّ خلق ثمّ عاب؟ فانقطع[5] وأنشد:

لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم[*][6]

---

(1) هو أبو عمرو البصري، متكلّم مناظر، ينسب إلى القول بالجبر، عاش في النصف الأوّل من المائة الثانية.

(2) كذا في الأصل هنا وفي سائر الموارد التي ذكر اسمه في الكتاب، وورد بهذا الشكل أيضاً في المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبار: 415 والفرق بين الفرق (بيروت - 1972): 202، ونقل عنه في الأوّل ما يمكن أن يكون وجه تلقيبه بهذا اللقب عند بعض المعتزلة، وهو «الفرد» بالفاء في اليمنيّة في جميع الموارد كما هو كذلك في سائر المصادر.

(3) يأتي تمام القصّة في الباب الخامس، ونقلها البياضي في الصراط المستقيم 3: 59.

(4) هذه مناظرة وقعت بين أبي علي الجبائي المعتزلي وصقر متكلّم المجبرة فراجع طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار: 287 (من طبعة فؤاد سيد). ونقل القصّة ابن شهر آشوب في متشابه القرآن: 121.

(5) نقله الرازي في تبصرة العوام: 264.

(6) البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو في ديوانه (طبعة محمّد حسن آل ياسين بيروت - 1403): 404.

(*) في الدرّ النفيس بعده: وأقول أنا: ويحسن أن يستشهد بقول الشّاعر هنا وهو:

المجبرون يجادلون بباطل وبضدّ ما وجدوه في القرآن =

ثمّ قال العدليّ: بلغني أنّ قوماً من بني إسرائيل خرجوا للاستسقاء، فأوحى الله إلى نبيّهم لا أسقيكم وفيكم رجل غمّاز، فقال: يا ربّ! من هو حتّى نخرجه؟ فقال: لا أعيب شيئاً ثمّ أفعله. وأنشد لمحمود الورّاق[1]:

ولا تلزم الذنب المقادير جاهلاً فأنت وليّ الذنب ليس المقادر
فلو كان للمقدور في الذنب شركة لكان له حظّ من الذنب وافر

واختصم عدليّ ومجبر بين يدي بعض الولاة، فلمّا قام المجبر اعتمد بيديه على الأرض وقال: بسم الله الّذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء. فقال العدلي: ما هذا الشيء الّذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء؟ وعندك لا ضرر إلاّ من قبله. فانقطع.

وقال مجبر لعدلي: أرأيت لو كان لي قطعة طين أليَ أن أعمل ما أحببت؟ قال: نعم. قال: أليَ أن أعمل منها ثلاث جرار، معوجة ومكسورة وصحيحة، ثمّ أطبخها بالنار؟ قال: نعم لكن بشرط أنّها لو خرجت كذلك

= كلّ مقالته الاله أضلّني وأراد بي ما كان منه نهاني
أتقول ربك للخلائق آمنوا جهراً ويجبرهم على العصيان؟
إن صحّ ذا فتعوّذا من ربّكم ودعوا تعوّذكم من الشيطان

ويقول الآخر:

إذا كانت الأشياء من الله كلّها فقد قام عذر للروافض في السبّ
لأنّ إله العرش في حكمه قضى عليهم بهذا فالعتاب على الربّ
وقد قام عذر لليهود وشبههم بتضليل خير المرسلين بلا عتب»

(1) هو محمود بن الحسن الورّاق، شاعر من أهل أوائل المائة الثالثة، أكثر شعره في المواعظ والحكم. توفّي حوالى سنة 225. والشعر لم يرد في ديوانه المطبوع (بغداد ـ 1979 من جمع عدنان العبيدي، بيروت ـ 1403 من جمع محمّد زهدي يكن). كما ليس فيه الأبيات الخمسة الّتي نقلها له الشيخ المفيد في أماليه (قم ـ 1403): 108 - 109. وكذلك العديد ممّا رواه له الزمخشري في كتاب ربيع الأبرار، ملاحظ فهارسه (من إعداد علي العدناني الغريفي): 410.

لا تسأل عنها لم صارت معوجة ومكسورة وصحيحة. ثمّ قال: وأنا أسألك. قال: سل. قال: ما تقول في رجل غرس في بستان له خوخاً لم يغرس غيره، ثمّ قال لغلامه اذهب إلى البستان فائتني بكلّ فاكهة، فقال الغلام: ليس في البستان إلاّ الخوخ، قال اذهب فأحرقه! لِمَ لم يكن فيه سوى الخوخ، أهذا حكمة؟ قال: لا. قال: فكيف جوّزت على ربّك أن يخلق كافراً ثمّ يعذّبه لِمَ لم يكن مؤمناً؟ فانقطع[1].

وقال مجبر يوماً: يا مصلح المفسدين! فقال عدليٌّ له: لِمَ قلت ذلك؟ قال: لأنّ الصلاح منه. قال: فقل على مذهبك يا مفسد المصلحين! لأنّ الفساد منه. ففكر ثمّ قال: يلزمني ذلك لكنّه قبيح. فسكت[2].

وسأل آخر مجبراً فقال: أليس تقرّر في العقول الإحسان إلى الوليّ والإساءة إلى العدوّ، وأنّ من فعل ذلك يكون حكيماً ومن فعل ضدّه وصف بالسفه؟ قال: نعم. قال: أرأيت لو أنّ رجلاً عبد الله مائة سنة وآخر عبد الوثن مائة سنة، فخلق في الأوّل الكفر وأدخله في النّار وفي الثاني الايمان وأدخله الجنّة، أليس عدوّه أحسن حالاً من وليّه؟ فانقطع[3].

وحكى بعض المعتزلة أنّ أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ مرّ بقتلى النهروان فقال: تعساً لكم! لقد ضرّكم من غرّكم. فقال بعض أصحابه: من غرّهم يا أمير المؤمنين؟ قال: الشيطان والنفس الامّارة بالسوء والأماني[4]. فقال مجبر: كان عليّ معتزليّاً والله! فالله غرّهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد.

---

(1) نقله البياضي في الصراط المستقيم 3 : 60.

(2) نقله الرازي في تبصرة العوام: 264.

(3) المصدر نفسه: 264.

(4) تاريخ الطبري (القاهرة ـ 1960.5 : 88، نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين: رقم 323. وفيهما وفي الدّر النفيس: بؤساً لكم.

وسأل عدليّ مجبراً عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[1] هذا الكيدُ كيد الله أم كيد غيرِه؟ فإن قلت: كيد الله فكيده ضعيف، وأن قلت: كيد غيره فهو ما نقول، إنّ كيد الله حقّ وكيد الشيطان باطل. فانقطع[2].

فصل

جمعت يوماً بين معتزلة الجنّ ومجبرة الجنّ للمناظرة، فقال معتزليّ: يلزم على مذهب الجبر هدم الدّين. فقيل: ولِمَ؟ قال: خذوا: إنّهم يلزمهم نفي الصانع لأنّهم إذا لم يثبتوا في الشاهد صانعاً فاعلاً لم يكن في الغائب ثابتاً، ويلزمهم نفي النبوّات لأنّهم إذا أجازوا على الله كلّ قبيح لا يؤمن أن يظهر المعجز على كذّاب وأن يبعث رسولاً يدعو إلى الضلال، ويلزمهم أن لا يكون للبعثة معنى لأنّه إذا أضلّ أحداً فلا معنى للبعث إليه وإذا هدى أحداً فلا معنى وإذا كان هو الخالق لهذه الأفعال فلا معنى للرسول والكتاب، ويلزمهم ابطال الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاستحالة تغيير ما فعله هو فكأنّه أمر بالجهاد لإعدام ما يوجده هو وايجاد ما يعدمه هو، ويلزمهم أن لا يصحّ إثبات عالم لأنّ الفعل خلقه ولأنّه يوجد بقدرة موجبة، ويلزمهم أن يصحّ فعل الأجسام من العبد لو وجد فيه القدرة، ويلزم بطلان الأمر والنهي والمدح والذمّ لأنّ الأفعال مخلوقة فيهم وهم مجبرون عليها، ويلزمهم تكليف ما لا يطاق وتكليف العاجز والزمن بالمشي والأعمى بالنظر. وأخذ يعدّد ذلك والقوم سكوت وهو يوبّخهم، حتّى تفرّقوا على أسوأ حال.

---

(1) سورة النساء (4) : 76.

(2) نقله صاحب تبصرة العوام: 264 بتصرف.

الباب الرابع

في القضاء والقدر وذكر القدرية

لقد فكرت في مسألة القضاء والقدر فوجدت لي فيها مجالاً وفي المقام مقالاً، فألقيت إليكم أنّ الكفر وجميع المعاصي بقضاء الله وقدره، فقبلتم منّي وجعلتم ذلك عمدةً لكم وأحلتم كلّ قبيح يحدث في العالم على القضاء والقدر.

وأنكرت المعتزلة ذلك أشدّ الإنكار وقالوا: ما معنى قولكم كلّ شيء بقضائه؟ إن أردتم «بخلقه»[1] فمعاذ الله أن يكون الكفر بقضائه وخلقه، وان أردتم «بأمره»[2] فهو خلاف الاجماع لأنهم أجمعوا [على] أنّه لا يأمر بغير الطاعات، وان أردتم «العلم والبيان» فنحن نقول إنّه يعلم جميع الأشياء قبل كونها لأنّه عالم لذاته لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء. وقالوا: ثبت في دين النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ أنّ الرضا بقضاء الله واجب، فلو كان الكفر بقضائه لوجب الرضا به، والرضا بالكفر كفر، وتلوا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾[3]. وقالوا: من قال إنّه يرضى الكفر فقد خالف النصّ. وقاموا على رأس هذا الأمر، فأعياني أمرهم وبهتني شأنهم.

---

(1) في الدّر النفيس: أنّه بخلقه.

(2) في الدّر النفيس: أنّه يأمر به.

(3) سورة الزمر (39) : 7.

واجتمعت أنا وهم في مجلس فجرى ذكر القدريّة وأنّهم مجوس الأمّة على ما وردت به السنّة[1]. فقالت المعتزلة: القدريّة هم المجبرة لوجوه أربعه:

أحدها: أنّ هذا الاسم أخذ من القدر، وإنّما يؤخذ من الإثبات لا من النفي كالموحِّدة والمشبِّهة والمجسِّمة، وقد اختلفنا في أنّ المعاصي بقدر الله أم لا، فقلتم بلى وقلنا لا، فأنتم بالاسم أولىٰ منّا.

وثانيها: أنّكم لهجتم بذكر القدر في كلّ قضيّة وفي إضافة القبيح إليه، فنسبتم إليه كما يقال تمريّ ولبنيّ.

وثالثها: روي أنّ النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - سئل عن القدريّة من هم؟ فقال: قوم يعملون المعاصي ثمّ يقولون إنّ الله قدّرها عليهم[2].

ورابعها: أنّه شبّههم بالمجوس، ومذهب المجبرة عين مذهب المجوس لأنّ المجوس تقول: من يقدر على الخير لا يقدر على الشرّ ومن يقدر على الشرّ لا يقدر على الخير، والمجبرة تقول: من يقدر على الإيمان لا يقدر على الكفر ومن يقدر على الكفر لا يقدر على الإيمان، ومذهب المعتزلة بالضدّ من ذلك، فعندهم يستحيل أن يقدر على الخير ولا يقدر على الشرّ ولكن إمّا أن يقدر عليهما معاً أو لا يقدر على واحد منهما. فلم يكن عندهم جواب.

---

(1) مسند أحمد: 2 : 86 و125، 5 : 406 و407/ ابن ماجه: 35/ أبو داود 4: 222/ المستدرك 1 : 85/ سنن البيهقي 10 : 203/ مسند أبي حنيفة (حلب - 1382): 17 - 19.

(2) نقله صدر الدين الشيرازي في تفسيره 1 : 324 عن الفائق في الأصول لركن الدين محمود بن محمّد الملاحمي الخوارزمي (ت 536) مرسلاً عن جابر بن عبد الله عن النبيّ.

غير أنّ بعض مشايخنا رووا أنّ آدم وموسى ـ عليهما السّلام ـ التقيا في السّماء فقال موسى: يا آدم! أليس الله قد أنعم عليك بأن خلقك بيديه وأسكنك جنّته وأسجد لك ملائكته وأنعم عليك بضروب النعم ثمّ أكلت ما نهاك عنه؟ فقال: يا موسى! بكم سنة تجد ذلك مكتوباً عليّ [قبل أن أخلق]؟ قال: بألف سنة، قال: أفأقدر على تركه؟ قال: لا. قال: فلِمَ تلومني؟ قالوا فحجّ آدم موسى[1]. قالت المعتزلة: هذا كذب، لو كان هذا عذراً لآدم لكان عذراً لجميع العصاة. قال بعض المجبرة: نعم هو عذر للجميع لكن لا نجسر أن نقول كما قال آدم. فقال معتزليّ: إذاً مثلنا كما قيل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر[2]

فقالت المجبرة: نعم! فضحكوا وقالوا: افتضحت. وأنشد المعتزلي:

إصفع المجبر الّذي بقضاء السوء قد رضي
فإذا قال لم فعلت فقل هكذا قضي[3]

وقيل لمحمّد بن واسع[4] وكان معتزليّاً: ما تقول في القدر؟ قال: إذا جمع

(1) أنظر مسند أحمد 2 : 264 و287 و314 و398 و448/ البخاري: رقم 6624/ مسلم: رقم 2652/ ابن ماجه: رقم 80/ أبو داود: رقم 4701 و4702، باختلاف في الجميع عمّا هٰهنا.

(2) لم يسمّ قائله في محاضرات الرّاغب 2 : 439.

(3) الشعر للصاحب بن عبّاد على ما في محاضرات الراغب 4 : 426 وليس في ديوانه المطبوع (بغداد ـ 1384 بتحقيق محمّد حسن آل ياسين)، وورد أيضاً في البدء والتأريخ لمطّهر بن طاهر المقدسي 5 : 147 غير منسوب.

(4) هو أبو بكر أو أبو عبد الله محمّد بن واسع بن جابر الأزدي البصري، من زهّاد البصرة وفقهائها، روى عن أنس وغيره. توفّي سنة 120 أو 123.

الله الخلائق سألهم عمّا أمرهم به ولم يسألهم عمّا قضى عليهم[1].

وسئل جعفر بن محمّد[2] ـ عليهما السّلام ـ عن القدر فقال: ما استطعت أن تلوم عليه العبد فهو فعله، وما لم تستطع أن تلومه فهو فعل الله، يقول الله تعالى للعبد لِمَ كفرت ولِمَ عصيت؟ ولا يقول لِمَ مرضت؟[3].

وروى غيلان[4] عن مطرّف[5] [أنّه] كان يقول: اللّهم ارضني بقضائك، فإنّ هذا السارق لم يرض بما قسمت له فسرق فقطعت يده[6].

واجتمع عدليّ ومجبر رافضيّ فقال العدليّ: ما تقول في عليّ ـ عليه السّلام ـ ، أقاتل معاوية على شيء جعله الله لمعاوية وقضاه له أم على شيء جعله لعليّ ـ عليه السّلام ـ وقضاه له وغصبه معاوية؟ فقال: بل على شيء جعله لمعاوية وقضاه له ولم يجعله لعليّ. فقال: فمعاوية أحسن حالاً من عليّ حيث رضي بما قضي له وجعل له، وعليّ لم يرض بما قضي له ولم يقنع بما جعل له، فمعاوية وافق ربّه وعليٌّ خالفه! فانقطع[7].

---

(1) القصّة في نثر الدّر 7 : 196 وفضل الاعتزال: 341 والشافي لعبد الله بن حمزة 1 : 153.

(2) هو الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق، سادس الأئمّة الاثني عشر. توفّي سنة 148.

(3) الرواية في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: 337 والطرائف لابن طاوس: 330 وبحار الأنوار 5 : 59.

(4) هو غَيْلان بن جرير المعولي الأزدي البصري، روى عن مطرّف بن عبد الله وأنس بن مالك والشعبي وروى عنه شعبة وغيره. توفّي سنة 129.

(5) هو مطرّف بن عبد الله بن الشخير الحرشي أبو عبد الله العامريّ، من التابعين، كان من عبّاد البصرة وزهّادهم. توفّي بين 87 - 95.

(6) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: 340/ الشافي لعبد الله بن حمزة 1 : 152.

(7) نقل البياضي هذه القصة وما يليها إلى حكاية الجارية والكوز في كتابة الصراط المستقيم 3: 65 - 66 ملخصة. ونقل الرّازي القصة في تبصرة العوام: 265.

وسأل عدليّ مجبراً: أكان قتل يحيى بن زكريّا بقضاء الله وقدره؟ قال: نعم. قال: فارضوا به! فانقطع.

وصعد سلاّم القاري أبو المنذر[1] المأذنة ليؤذّن، فأشرف على سطحه فإذا غلام له يفجر بجاريته، فبادر ونزل وأخذهما ليضربهما، فقال الغلام: أتلومني؟ وان القضاء والقدر لم يدعانا حتّى فعلنا ذلك! فقال: لعلمك بالقضاء والقدر أحبّ إليّ من كلّ شيء، أنت حرّ لوجه الله![2]

وكان بإصبهان[3] شيخ مجبر يؤذّن، فصعد المأذنة فرأى رجلاً يفجر بأهله، فبادر وهرب الرجل فأخذ يضرب المرأة وهي تقول له: القضاء والقدر ساقانا! فقال: يا عدوّة الله! أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟ فقالت: أوه! تركت السنّة وأخذت مذهب ابن عبّاد![4] فتنبّه الرجل ورمى بالخشب وقبّل ما بين عينيها واعتذر إليها، وقال: لولا أنت لضللت فأنت سنيّة حقّاً![5] وجمع الصوفيّة ثلاثة أيّام شكراً لله. فهذا ما لقينا منكم يا معشر المعتزلة!

ورأى مجبر رجلاً يزني بامرأته، فقال: ما هذا؟ قالت: قضاء الله وقدره!

(1) هو سلاّم بن سليمان البصري الطويل، من رواة عاصم، توفّي سنة 171. والقصّة في فهرست ابن النديم: 180 (من طبعة فلوجل).

(2) نقله الرازي في تبصرة العوامّ: 262، وشبّر في مصابيح الأنوار1:168وانظر محاضرات الراغب 4 : 427 لما يشبهه.

(3) في الأصل: باصفاهان. وهو يوافق تلفّظ بعض النّاس لاسم هذه البلدة. وما أثبتناه من اليمنيّة والدرّ النفيس.

(4) يعني الصاحب بن عبّاد الوزير، الماضي ذكره.

(5) نقله شبّر في مصابيح الأنوار 1 : 168.

فقال: خيرة الخيار في ما قضى الله[1]. فلقّب «خيرة الخيار في ما قضى الله»[1]! وكان إذا دعي به غضب[2].

واجتمعوا يوماً في مجلس فقال معتزليّ: أنتم يا معشر المجبرة إذا ناظرتم المعتزلة قلتم بالقدر وإذا دخلتم منازلكم تركتم ذلك وقلتم بالعدل لأجل فلس. قيل: ولِمَ؟ قال: إذا لقي الخصم قال ليس لنا من الأمر شيء، الأمر إلى خلقه وقضائه، وإذا دخل منزله ووجد جاريته كسرت كوزاً يساوي فلساً ضربها وشتمها ويلومها لِمَ كسرت الكوز ولئن كسرت بعدها لأفعلنّ كذا، ونسي مذهبه[3].

ومرّ أبو عبد الله الموسوس بطرّار اجتمع الناس عليه، فكلّم بعضهم أن يخليه ويردّ المسروق فردّ. فقال أبو عبد الله: أيّهما أعدل، من قضى عليه أخذها أو من ردّ عليه؟ فبهتوا، وأنشد لمحمود الورّاق[4]:

إذا ما أتى فاسق زلّةً ... على العمد منه يقولوا قُدر
إذا كان هذا على طاعة ... وهذا على الكفر كلّ جبر
فمن قد أطاع كمن قد عصى ... فما للعذاب بذي يستمرّ
وإن كان ربّي له خالقاً ... فمن قد أطاع كمن قد كفر[5]

حكى معتزليّ فقال: ضرب مجبر بالسياط في سرقة، فقال: مرحباً بقضاء الله وقدره!

---

(1) في اليمنيّة بإسقاط كلمة «خيرة» في الموردين.

(2) أنظر محاضرات الراغب 4 : 427 ففيها: «قال بعضهم لو كان الزنا ممّا قضى الله لكان الرّضا به خيرة، لإجماع النّاس على قولهم: الخيرة في ما قضى الله».

(3) نقل القصّة شبّر في مصابيح الأنوار 1 : 117 - 118.

(4) مضى ذكره، والشعر لم يرد في ديوانه المطبوع.

(5) في اليمنيّة: فما مثل هذا لمن يعتذر.

وقيل لمجبر: الله يقضي الفساد ويخلقه؟ فاستلقى وقال: لي خمس بنات، لا أخاف على إفسادهنّ غيره[1]. فقال المعتزلي: صدق والله! هذا حقيقة مذهبهم.

وتشاجر معتزليّ ومجبر في أنّ القدريّة من هم؟ فجيئا بمجوسيّ فقالا له: يا مجوسي! ممّن المجوسيّة؟ قال: من الله! فقال المعتزليّ للمجبر: أيّنا يوافقه؟[2] ثم أنشد:

أيتّها المجبرة الملعونة وبالمجوس في الهوى مقرونة[3]

حاولتم علّة قوم ذمّة من ثَمّ سُمّيتم مجوس الأمّة[4]

واجتمع أبو عمرو بن العلاء[5] وعمرو بن عبيد[6] فقال عمرو لأبي عمرو: هل تعرف في كلام العرب أنّ أحداً فرّط في ما لا يقدر عليه؟ قال أبو عمرو: لا. قال: فأخبرني عن قوله تعالى: ﴿يا حَسْرَتى عَلىٰ ما فَرَّطْتُ في جَنْبِ اللهِ﴾[7]، أكان حسرته على ما قدر عليه أو على ما لم يقدر عليه؟ فقال أبو عمرو لأصحابه: قد أبان لكم أبو عثمان القدر بحرفين[8].

---

(1) أنظر الصراط المستقيم 3 : 65.

(2) أنظر الصراط المستقيم 3 : 64، وصدر القصّة محرّف في المطبوعة من هذا المصدر.

(3) في اليمنيّة: وبالمجوس دينها مقرونة.

(4) يشبه شعر الصّاحب وليس في ديوانه المطبوع. وورد البيت الأخير في اليمنيّة هكذا:
سُمّيتموا حقّاً بلامراء مجوس هذه الأمّة الملعونة

(5) هو زبان بن عمّار التميمي المازني البصري، من أئمّة اللّغة والأدب وأحد القرّاء السبعة. توفّي سنة 154.

(6) هو أبو عثمان عمرو بن عبيد البصري، شيخ المعتزلة في عصره. مات سنة 144.

(7) سورة الزمر (39) : 56.

(8) القصّة في نثر الدّر 7 : 197. وانظر الصراط المستقيم 3 : 66.

وسأل مجبر عدليّاً عن قوله[1] ـ عليه السلام ـ إذا ذكر القدر فأمسكوا والقدر سرّ الله فلا تفشوه والقدر بحر عميق لا يدرك غوره[2]، فقال: كلّ ذلك حجّة على المجبرة والقدريّة. قال: ولِمَ؟ قال: أجمع المسلمون أنّ من أقرّ على نفسه بذنبه واستغفر ربّه ولام نفسه فهو قد أصاب الحقّ، وعلى هذا كان السلف الصالح، وبهذا نطق القرآن في قوله ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾[3]، وبهذا وردت السنّة لما سئل النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ أهذا شيء يعلمه وسبق القضاء به؟ قال: ففيم بعث[4]، فالمراد إذا نسب المعاصي إلى القدر فأمسكوا ولا تقولوا كقول المجبرة. وقيل إذا سئل عن أفعال الله لِمَ كان هذا بصيراً وهذا أعمى وهذا غنيّاً وهذا فقيراً فكِلوا ذلك إلى تدبيره فإنّه الحكيم في أفعاله العليم في قضاياه، لا يفعل إلاّ الصّواب ولم يُرِد إضافة القبيح إلى قضائه، مع قوله: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[5] وقوله ﴿إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾[6]و﴿واللَّهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[7] ولا يريد ظلماً للعالمين[8]. ثمّ قال: ومن وجهة أخرى هو حجّة عليكم وهو أنّه أمر بالإمساك فأمسكوا ولا تضيفوا الكفر والفساد إلى قدره، فإذا فعلتم ذلك فقد خالفتم السنّة وخضتم البحر المنهيّ عن

---

(1) الظّاهر أنّه يعني الإمام علي الّذي ينسب إليه هذه الأقوال، ولكن في طبقات المعتزلة: 168 «روي عن النبيّ أنّه قال في القدر أنّه سرّ الله فامسكوا عنه وأنّه بحر عميق فاجتنبوه».

(2) أنظر نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين: رقم 287 وكتاب التوحيد للصدوق: 365. وفيهما وفي اليمنية: سر الله فلا تكلفوه.

(3) سورة التوبة (9) : 102.

(4) في اليمنيّة: ففيم يعذّب.

(5) سورة آل عمران (3) : 78.

(6) سورة الأعراف (7) : 28.

(7) سورة البقرة (2) : 205.

(8) مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّه يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾ (سورة آل عمران ـ (3) ـ: 108).

خوضة وأفشيتم سرّه[1] وقلتم بالجبر. فانقطع. ثمّ قال: أخبرني عن إفشاء هذا السرّ المغيَّب أمِنّا أو منه[2]؟ فان قلت منّا تركت المذهب، وإن قلت منه فهو الّذي أفشاه[3]، وإن قلت منّا ومنه فقد أشركت.

وجرى ذكر القدريّة فقال مجبر: القدريّة خصماء الرحمن وأنتم أولئك يامعشر المعتزلة! فقال: ننظر في المذهبين أيّهما أليق بأن يكون خصماً له، فمذهبنا أن نجعل الحجّة كلّها على عباده وأنتم جعلتم الحجّة كلّها للعباد عليه، وأنتم خصمه ونحن نذبّ عنه. ثمّ قال: حسبك بالقطع إذا دُعينا ودُعيتم يوم القيامة فقيل لكم: بِمَ تشهدون؟ قلتم: يا ربّ نشهد أنّ القوم لم يؤتوا في كفرهم وفسادهم إلاّ من جهتك، أنت خلقت فيهم الكفر فأفسدتهم، وحملت اليهود على اليهوديّة والنصارى على النصرانيّة، ولو كان الأمر إليهم لكانوا صالحين لكن أنت صددتهم وبقضائك عليهم الكفر منعتهم وأنت نهيتهم عنها وأوقعتهم فيها، فجميع ذنوبهم منك وجميع معاصيهم من قبلك ثمّ سخطت عليهم بغير حقّ وتعاقبهم بغير جرم، ثمّ قلتم للقوم: أما نحن فقد بحنا ببراءتكم وقمنا بعذركم واحتججنا لكم. ثمّ قيل لنا: يا أهل العدل! بِمَ تشهدون؟ فقمنا بين صفوفهم وقلنا: يا ربّ! نشهد أنّ هؤلاء كذبوا عليك ونحلوا إليك ما أنت منه بريء واعتذروا للظالمين وجعلوا دعوة الرسل لغواً وإنزال الكتب عبثاً والأمر والنهي باطلاً وإقامة الحدود تعنّتاً والسؤال والحساب والعقاب ظلماً والثواب ميلاً، فنحن نشهد أنّهم كذبة وشهود زور وننزّهك عمّا لا يليق بك فنقول سبحانك عمّا وصفوك به وتعاليت عمّا نسبوه إليك، ونشهد أنّك العدل في ما فعلت

(1) في الأصل: وفتّشتم عن هذا السرّ. وما أثبتناه أعلاه من اليمنيّة.
(2) في الأصل: أخبرني أهذا التفتيش المعيّب منّا أو منه؟
(3) في الأصل: فتش سرّه.

وفطرت، الحكيم في ما قضيت وقدّرت، الرحيم فلا عنت في ما أمرت ونهيت، العليم فلا جور في ما قدّمت وأخّرت، الصادق في ما أنبأت وأخبرت، خلقت الخلق برحمتك وكلّفتهم برأفتك لينالوا جنّتك، وأعطيت الآلة وأزحت العلّة ومكّنت بإعطاء القدرة وبعثت الرسل وأنزلت الكتب كلّ ذلك تعريضاً لما أعددت لهم من ثوابك وتحذيراً من عقابك، ولم تُرد منهم إلاّ ما أمرت ولا كرهت إلاّ ما نهيت ولا قضيت إلاّ ما قدّرت ولا قدّرت إلاّ ما أظهرت، فتركوا أمرك واتّبعوا شهواتهم وارتكبوا ما نهيت إيثاراً لشهواتهم ولذّاتهم وطغوا في بلادك وظلموا عبادك، فمنهم من كفر ومنهم من جبر ومنهم من ترك العبوديّة. ومنهم من ادّعى الربوبيّة، وفي كلّ ذلك أتوا من قبل أنفسهم وأنت من ذلك بريء حتّى استوجبوا عذابك واستحقّوا عقابك، ثمّ أمهلتهم للتوبة وأعذرت إليهم للإنابة ففي كلّ ذلك الحجّة لك عليهم ولا حجّة لهم عليك وما أنت بظلاّم للعبيد، بهذا كنّا نشهد في الأولى كما شهدنا في العقبى، فانظروا أيّنا خصماء الرحمن، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلا تكُنْ لِلْخائِنينَ خَصيماً﴾[1]﴿ولا تُجادِلْ عَنِ الَّذينَ يَخْتانونَ أَنْفُسَهُمْ﴾[2].

وقال معتزليّ لمجبر: أليس الله يقول: ﴿وَشَهِدُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِم أَنَّهُمْ كانُوا كافِرينَ﴾[3] فإقرارهم أولى بأنفسهم أم شهادتكم لهم؟ فانقطع.

وقال عدليّ لمجبر: أليس الله يقول: ﴿وَلا يَرْضىٰ لِعِبادِهِ الكُفْرَ﴾[4]؟

(1) سورة النساء (4) : 105.

(2) السورة نفسها: 107.

(3) سورة الأنعام (6) :130.

(4) سورة الزمر (39) : 7.

فقال: دعنا عن هذا، أرضاه وأحبّه وأراده وخلقه وما أفسدنا غيره! فقال: كفرت حيث رددت آية من كتاب الله.

وقال تلميذ لسلاّم القاري[1]: مررت الليلة بآية من القرآن في قصّة يوسف توهمني أنّه كان قدريًّا! قال: وما ذلك؟ قال: قوله تعالى: ﴿نَزَغَ الشَّيطانُ بَيْني وَبَيْنَ إِخْوَتي﴾[2]. فقال سلاّم: وأنا مررت بآية في قصّة موسى توهمني ذلك. قيل: وما هي؟ قال: قوله ﴿هٰذا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ﴾[3]. فقال آخر: رأيت أعجب من هذا، قوله ﴿إِنّي لآ أَمْلِكُ إِلاّ نَفْسي وَأَخي﴾[4]، فلم يرض أن يقول «أملك نفسي» حتىّ قال «وأملك غيري»[5]. فقام معتزليّ وقال: أما رضيتم بمذهب موسى ويوسف تردّون عليهما؟ فسكتوا.

(1) مضى ذكره. والقصّة منقولة في الصراط المستقيم 3 : 66.

(2) سورة يوسف (12) : 100.

(3) سورة القصص (28) : 15.

(4) سورة المائدة (5) : 25.

(5) انظر محاضرات الراغب 4 : 426 - 427.

الباب الخامس

في خلق الأفعال

فكرت وقلت لا شيء أقوى في هذا الباب من نفي الأفعال عن العباد وإضافتها إلى الله، فألقيت إليكم أنّ جميع ما يظهر من العباد من خير وشرّ وإيمان وكفر وقبيح وحسن وطاعة ومعصية فهو خلقه تعالى ولا تأثير للعبد فيه، وإنّما ينسب إليه كما تنسب الحركة إلى الأشجار والجري إلى الأنهار والنضج إلى الثمار، فكذلك نسبة الكفر إلى الكفّار والطاعة إلى الأبرار. فقبلتم ذلك منّي أحسن قبول ودنتم به وناظرتم عليه.

وأنكرت المعتزلة ذلك، وقالوا هذا يبطل الأمر والنهي والوعد والوعيد والحساب والثواب والعقاب والكتب والإرسال والجزاء والسؤال.

فأمّا شيخنا جهم[1] فقام على رأس الأمر، ولم يلتفت إلى كلامهم ولا تفكّر في ما أوردوه من حججهم، وقال: من يبالي بسبالكم ومن يلتفت إلى أقوالكم؟ وأمّا سائر الشيوخ فتركوا الطريق وناظروهم حتّى انقطعوا وافتضحوا.

فألقيت إليكم حيلة ومكيدة بأنّه خلق لله وكسب للعبد، ففرحتم به وأوردتموه عليهم. فقالت المعتزلة: هذا تلبيس وتدليس، إذا كان الفعل

(1) هو أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي، رأس الجهمية. كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان فقبض عليه نصر بن سيار وقتله في سنة 128.

بجميع صفاته من الله فأيّ تأثير للعبد وأيّ معنى للكسب؟ وقالوا: إن ثبت ذلك واشتركوا في الفعل وجب أن يشتركوا في الحمد والذمّ والأسماء المشتقّة من الأفعال، وكيف أضاف أفعاله إليهم وحظّه أكثر وتأثيره أوفر؟ وكيف أوجب الحدود والعقوبات على شيء هو حملهم عليه؟ وقالوا لهم: أيصحّ أن يحصل الخلق دون الكسب؟ قالوا: لا، قالوا: فيصحّ أن يحصل الكسب دون الخلق؟ قالوا: لا، فقالت المعتزلة: فهذه شركة ظاهرة، خرجتم عن التوحيد وقلتم انّ القدرة المحدثة قدرة الله. فعند ذلك انقطعوا وبهتوا.

اجتمع عدليّ ومجبر فقال العدليّ: أليس قد بعث الله موسى إلى فرعون وقال: ﴿فَذٰنِّكَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّكَ إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾[1] وقال: ﴿إِنَّهُ طَغىٰ فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ﴾[2] ووصّاه بما وصّاه؟ فقال: بلى. قال: فبعثه ليغيّر خلقه أو فعل فرعون؟ فإن قلت بالأوّل فكيف يقدر موسى أن يغيّر ما خلق الله؟ وأيّ معنى لقوله ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشىٰ﴾ ولم يخلق ذلك فيه؟ وإن قلت بعثه ليغيّر فعل فرعون فذلك ما نقول. فانقطع المجبر[3]. وأنشد العدليّ يقول:

لقد أسمعت لو ناديت حيّاً ولكن لا حياة لمن أنادي[4]

(1) سورة القصص (28) : 32.

(2) سورة طه (20) : 43.

(3) نقله الرازي في تبصرة العوامّ: 265.

(4) البيت لعمرو بن معد يكرب، وهو في ديوانه المطبوع (من جمع هاشم الطعّان، بغداد - 1390):64، وفيه: «لمن تنادي». وإنشاد عبد الرحمن بن الحكم بن العاص (الأغاني 15 : 117) وبشّار بن بُرد (محاضرات الراغب 2 : 556) له لا يعني أنّ البيت لأحدهما، كما هو واضح.

وقال ثمامة[1] يوماً للمأمون: أنا أبيّن لك القدر بحرفين. فقال: زد للضعيف حرفاً - يعني يحيى بن أكثم[2] -. فقال: لا يخلو فعل العبد من ثلاثة أوجه: إمّا أن يكون فعله فيتوجّه الحمد والذمّ إليه، أو فعل الله تعالى فلا يتوجّه على العبد لوم ولا حمد ولا ذمّ، أو كان منهما فيجب أن يكون الحمد والذمّ لهما. فقال: صدقت![3]

وقال أبو العتاهية[4] للمأمون: أنا أقطع ثُمامة بحرف. فقال: دع فلست من رجاله. قال: بلى! فلمّا حضر قال: سله. فحرّك أبو العتاهية يده وقال: يا ثمامة! من حرّك يدي؟ فقال: من أمّه زانية! فقال: يا أمير المؤمنين! شتمني. فقال ثمامة: يا أمير المؤمنين! ترك مذهبه. فضحك المأمون[5].

وقيل لفضيل بن عياض[6] - وكان عدليّاً -: إنّ فلاناً يشتمك. فقال: لأغيظنّ من أمره بذلك ويغفره الله له. قيل: ومن أمره بذلك؟ قال: الشيطان.

وقال عدليّ لمجبر: أليس الله تعالى يقول: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ

---

(1) هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميري، من كبار المعتزلة، شيخ الجاحظ، مات سنة 213.

(2) هو القاضي يحيى بن أكثم المروزي، استقضاه المأمون ثمّ المتوكّل، ومات في سنة 242.

(3) القصّة في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: 273.

(4) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني الكوفي، الشاعر المكثر، توفّي ببغداد سنة 211.

(5) القصّة في فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: 274 ومحاضرات الراغب 4 : 426. ووردت كذلك ملخّصة في المنقذ من التقليد لسديد الدّين الحمصي 1 : 164 - 165/ متشابه القرآن لابن شهر آشوب: 121/ الطرائف لابن طاوس: 341/ تبصرة العوامّ: 263/ الصراط المستقيم 3 : 59/ مصابيح الأنوار 1 : 148.

(6) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي السمرقندي، المحدّث الزاهد، شيخ الشافعي. توفّي بمكّة سنة 187.

﴿وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً﴾[1]، فالوعدان من واحد أو من اثنين؟ فانقطع[2].

وكلّم إنسان عروة بن محمّد[3] بشيء أغضبه، فخرج وتوضّأ ورجع وقال: حدّثني أبي عن جدّه عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ أنّه قال: الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، وإنّما يطفىء الماء النار، فإذا غضب أحدكم فليتوضّأ.

عن بعض المعتزلة أنّه قال لمجبر: أليس النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ يقول: الأناة من الله والعجلة من الشيطان[4]؟ فلو كان كلاهما من خلقه لم يكن للفرق معنى[5].

وقال آخر لمجبر يناظره: لا أدري ما تقول غير أنّه تعالى قال: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ﴾[6]، فقد علمنا أنّ الّذي أوقدها غير الّذي أطفأها[7].

---

(1) سورة البقرة (2) : 268.

(2) نقله الرازي في تبصرة العوامّ: 265.

(3) هو عروة بن محمد بن عطيّة السعدي القيسي، ولي على اليمن عشرين سنة وعزل سنة 103 وتوفّي بعد سنة 130. والرواية وردت في مسند أحمد 4 : 226 وقسم منها في تهذيب التهذيب 7 : 188 ذيل ترجمة عروة.

(4) سنن الترمذي 6 : 219 (رقم 2013).

(5) نقله الرازي في تبصرة العوامّ: 265.

(6) سورة المائدة (5) : 64.

(7) نقله الديلمي في أعلام الدين: 320 والبياضي في الصراط المستقيم 3 : 59 وصدر الدّين الشيرازي في تفسيره 1 : 326 وشبّر في مصابيح الأنوار 1 : 146.

وسمع صقر المجبر[1] رجلاً يقول: لعن الله القوّاد يجمع بين الزاني والزانية. فقال صقر: إنّك تلعن ربّك فانّه هو الّذي جمع بينهما. فقال: ما الّذي تقول؟ قال: هو ديني ودين أصحابي[2].

وقيل لصقر: أليس الله يحمد بترك الظلم فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾[3]؟ قال نعم. قال: أليس الظلم كلّه منه ومن خلقه وقضائه؟ قال: بلى. قال: فما الظلم الذي نفاه ويحمد على تركه؟ أشيء يعرف أم لا؟ فانقطع.

وقال: أبو الهذيل للبطيخي[4] المجبر ـ غلام جهم[5] ـ: أتزعم أنّ الله تعالى يعذّب عباده على ما خلقه فيهم؟ قال: لا، ولكن أقول إنّهم في النار يتنعّمون كدود الخلّ في الخلّ. ثمّ قال: كيف تجيب يا أبا الهذيل. قال: نعم

(1) ورد ذكره في طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبّار: 287 (من طبعة فؤاد سيّد)، ويظهر منها أنّه كان متكلّم المجبرة في البصرة في أواسط المائة الثالثة.

(2) نقله عبد الله بن حمزة في الشافي 1 : 134.

(3) سورة فصّلت (41) : 46.

(4) ورد ذكره في المحيط بالتكليف للقاضي عبد الجبّار: 117، إلاّ أنّه في المطبوع منه: البطخي وفي اليمنيّة: البطحي. وفي مقالات الإسلاميّين للأشعري 2 : 199 أنّ «البطيخيّة زعمت أنّ أهل الجنّة في الجنّة يتنعّمون وأنّ أهل النار في النار يتنعّمون بمنزلة دود الخلّ يتلذّذ بالخلّ ودود العسل يتلذّذ بالعسل». وفي الحور العين لنشوان الحميري: 40 (وشرحه: 254): «وأوضح قول البطحيّة من التلذّذ بعذاب النّار لقد سلك واردها سبيلاً من الرشد على منار». وفي مشارق أنوار اليقين للبرسي: 205 أنّ الجبريّة خمس فرق منهم البطحيّة أصحاب اسماعيل البطحي. وفي الفصل لابن حزم 2 : 267 و5 : 51 (من طبعة الرياض ـ 1402) ذِكْرُ أبي اسماعيل البطيحي من متكلّمي الخوارج وأصحابه الّذين سمّاهم البطيحيّة. ولكن يبعد أن يكون هذا هو أبو اسماعيل محمّد بن صالح الواسطي الثقفي البطيحي الّذي يذكره السمعاني في الأنساب 2 : 260 فلاحظ.

(5) يعني جهم بن صفوان الماضي ذكره.

ولكن قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[1].

وقيل لأبي الهذيل: من جمع بين الزاني والزانية؟ قال: أمّا أهل البصرة فيسمّونه قوّاداً، وأظنّ أن أهل بغداد لا يخالفونهم في ذلك! فسكت السائل[2].

وقيل لأبي العبّاس الضرير ـ وكان عدليّاً ـ: من جمع بين الزاني والزانية؟ فقال: أبو القوّاد.

وقيل أنّ أبا الأسود الدؤليّ[3] شكى جيرانه بأنّهم يرمونه بالحجارة، فقالوا: ما رميناك ولكن الله رماك! قال: كذبتم! لو رماني الله لما أخطأني وأنتم تخطئون[4].

وتواعد أبو الهذيل وحفص القرد للمناظرة في دار أبي عامر الأنصاري وتراضيا بالنظّام[5]، فقال أبو الهذيل لحفص: هل تعرف شيئاً غير الله وغير خلقه؟ قال: لا. قال: فعذّب الكافر على أنّه خالق؟ قال: لا. قال: فعذّب على أنّه خلق؟ قال: لا. قال: فلِمَ عذّبه؟ قال: لأنّه عصى. قال: وإذا عصى

---

(1) سورة آل عمران (3 : 192). والعبارة مشوّشة في الأصل هنا ففيه: «ثم قال كيف ثم كيف حيث يا أبا الهذيل. قال نعم ولكن رفعت باب البيعة». وما أثبتناه أعلاه من اليمنيّة.

(2) القصّة في أمالي المرتضى 1 : 180 ونثر الدّر 7 : 197 وطبقات المعتزلة: 260، ونقلها ابن شهر آشوب في متشابه القرآن: 121 والبياضي في الصراط المستقيم 3 : 59.

(3) هو ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني، المتوفّى 69، واضع علم النحو ووالي البصرة في خلافة أمير المؤمنين.

(4) أنظر القصّة وما قال أبو الأسود فيها من الشعر في ديوانه: 89 - 90 (بيروت ـ 1402)/ نثر الدّر 5 : 209/ فضل الاعتزال: 336.

(5) هو إبراهيم بن سيّار البصري، من أئمّة المعتزلة. توفّي سنة 231.

خرج إلى باب ثالث من خالق ومخلوق؟ قال: لا. قال: فلِمَ عذّب؟ فجعل حفص يكرّر هذا وأبو الهذيل يلزمه، فقال النظّام: إلى كم لا ونعم في شيء لا معنى له[1]؟

وقيل لأبي يعقوب المجبر[2]: من خلق المعاصي؟ قال: الله. قال: فمن عذّب عليها؟ قال: الله. قال: فلِمَ عذّب عليها؟ قال: لا أدري والله!

وحضر أبو عبد الله الحنفي[3] دار بعض الولاة وقد حضره مجبر فأُتي برجل طرّار [أحول]، فقال الوالي للمجبر: ما ترى فيه؟ قال: تضربه خمسة عشر سوطاً. فقال للعدليّ: ما تقول؟ قال: تضربه ثلاثين سوطاً، خمسة عشر لحوله وخمسة عشر لطرّه. فقال المجبر: تضربه على حوله ولا صنع له فيه؟ قال: نعم، إذا كانا جميعاً من خلق الله فالحول والطرّ سواء. فانقطع المجبر وتحيّر[4].

وقال المأمون لأبي علي الثنوي: هل ندم[5] مسيء قطّ؟ قال: نعم. قال: أندم على شيء فعله هو أو غيره؟ قال: ندم لأنّه أساء. قال: فإنّ صاحب

---

(1) نقل البياضي هذه القصّة والّتي بعدها في الصراط المستقيم 3 : 59، والأولى نقلت في مصابيح الأنوار لشبرّ 1: 146 - 147 أيضاً باختلاف.

(2) الظاهر أنّه أبو يعقوب الجرجاني تلميذ محمّد بن كرّام ومن رؤساء الكرّامية في زمانه (انظر رسالة فان اس عن الكرّامية: 25 و29 و44 و53 و55). وهناك العديد من المكنّين بهذه الكنية من محدّثي جرجان ترى ذكرهم في تاريخ جرجان للسهمي: 450 - 453.

(3) في نثر الدّر: أبو عبد الرّحمن الحنفي.

(4) القصّة في نثر الدّر 7 : 197. ونقلها أيضاً ابن شهر آشوب في متشابه القرآن: 121 والبياضي في الصراط المستقيم 3 : 59. ونسبها حسن بن أبي الحسن الديلمي في أعلام الدين: 319 إلى أبي الهذيل وقد حضر عند أمير البصرة.

(5) في اليمنيّة هنا وفي ما بعده: يُذَمّ.

الخير وصاحب الشرّ سواء واحد. فانقطع[1]. هذا، ويلزم المجبرة [أنَّ] النادم يندم على فعله أو فعل خلق الله فيه، وهم ألزموا الندم على فعل غيرهم [الّذي] لا يقدرون على تركه، والعاقل لا يندم على مثل هذا.

وكان قاصّ من المعتزلة يقصّ ويقول: أيّها الناس! من حمل الذنب على الله هلك ومن أضافه إلى نفسه نجا، فهذا مذهب النبيّين والصحابة والتابعين. ولقد أتي عمر بسارق فقال له: لِمَ سرقت؟ قال: قضاء الله وقدره! فقال: اذهبوا به واضربوه ثلاثين سوطاً واقطعوا يده. فقيل: أما القطع فللسرقة فما بال الضرب؟ قال لكذبه على الله[2].

(1) أنظر الحيوان للجاحظ 442 - 443/ عيون الأخبار لابن قتيبة (بيروت - 1986) 2 : 168/ متشابه القرآن لابن شهر آشوب: 122 والقصّة في هذه المصادر مختلفة عمّا ههنا إلاّ في السطر الأوّل.

(2) القصّة في إنقاذ البشر للشريف المرتضى: 240 (من طبعة قم - 1406 في المجلّد الثاني من مجموعة رسائل الشريف المرتضى) والمحاضرات للراغب 4 : 427، ونقله كذلك ابن شهر آشوب في متشابه القرآن: 196.

الباب السادس

في الاستطاعة

فكرت وقلت: مدار أمر التكليف على القدرة وإزاحة العلّة، فألقيت إليكم أنّ الكافر لا يقدر على الإيمان والمؤمن لا يقدر على الكفر ويستحيل القدرة على الضدّين، وأنّ القدرة موجبة للفعل وتوجد معه وتعدم معه. فقبلتم منّي ووافقتموني كالمنتظر منكم.

وأنكرت المعتزلة ذلك وقالوا بَل القدرة قبل الفعل وهي غير موجبة للفعل، والقدرة على الضدّين. وقالوا: لو كان الأمر كما زعمتم لكان يقبح تكليف الكافر كما يقبح تكليف الأعمى بالنّظر والأخرس بالكلام والزمن بالمشي، وإذا لم يجز تكليف من لا يعلم فتكليف من لا يقدر أولى أن لا يجوز، ولأنّها لو كانت موجبة لكان الفعل لفاعِل القدرة. وصنّفوا في ذلك تصانيف وأوردوا في ذلك حججاً وألزموا تكليف ما لا يطاق. فمنكم من استحيا من إطلاقه فوقع في حيرة، فألقيت إليهم القول بالبدل[1] تلبيساً فقبله النـجّاريّة[2]،

---

(1) في هامش الأصل: «أي عند الجبرة يجوز وجود الإيمان في حال الكفر على معنى أنّه لولا يكون كان وجد وفعل - أي يجوّزون الإيمان في حال وجود الكفر - وعند [من يذهب إلى] البدل إنّما يجوز على المعدوم ولا يجوز على الموجود لأنّ بدل الموجود يكون مثلاً له لا بدلاً».

(2) هم فرقة من المعتزلة، أتباع الحسين بن محمّد بن عبد الله النجّار الرازي (أو البصري على ما في تبصرة الأدلّة للنسفي 1 : 51 و146) المتوفّى حوالي سنة 220، يوافقون المعتزلة في الصّفات وخلق القرآن وفي الرّؤية، ويخالفونهم في مسألة القضاء والقدر واكتساب العباد وفي الوعد والوعيد.

والاشتغال بالترك فلزمه الكلابيّة[1]. وقال شيخنا أبو الحسن[2]: ما هذا الحياء؟ ولأيّ معنى هذا الرياء؟ صرّحوا بتكليف ما لا يطاق ودعوا هذا النفاق وإن رغم أنوف المعتزلة[3]. فقلت شكّر الله سعيك! أرحت واسترحت! وصرّحنا به وحمدناه على ذلك. وقامت المعتزلة بالردّ عليّ وعليكم.

ولقد قرأ قاريء ﴿وَما مَنَعَ النّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾[4]، فقال بعض المعتزلة: يا معشر المجبرة! كيف يكون هذا على مذهبكم وقد منع الله الناس من الإيمان بخصال من المنع، كلّ واحد منها يمنع فكيف بمجموعها؟ قيل له: وما هي؟ قال: خذوا، فأحدها أنّه خلق الكفر، وثانيها خلق القدرة الموجبة للكفر، وثالثها أنّه أراد الكفر من الكافر وقضاه وزيّنه ولم يخلق فيه الإيمان ولا أعطاه قدرة الإيمان ولا أراده ولا قضاه. فقلت لمشايخنا: أجيبوه! فقالوا: إذا كان المذهب ما قال فما معنى الجواب؟

وأنشد معتزليّ لابن عبّاد[5] في ذمّ أصحابنا أشعاراً كثيرة، منها:

يقول لنا بعض جيراننا ... أريد المنارة في المبعر

فقلت له يا فتى لا تطيق ... فأعرض كالمبغض المنكر

فقال وتكليف ما لا يطاق ... يجوز على مذهب الأشعري

وحضر يوماً المعتزلة والمجبرة، فقال معتزليّ: ليس في الدّنيا أسوأ ثناءً على

(1) هم فرقة من نابتة الحشويّة، أتباع محمد بن عبد الله بن كلاب القطّان الماضي ذكره.

(2) يعني الأشعري إمام المذهب، الماضي ذكره.

(3) في هامش الأصل: «نقول إنّه تعالى يقدر ويعلم لمعان لا يوصف، لأنّه لو وصف الصفة لاحتاجت الصفة إلى الصفة وهلمّ جرّاً فيؤدّي إلى ما لا يتناهى، والاستطاعة مع الفعل».

(4) سورة الإسراء (17) : 94.

(5) يعني الصاحب بن عبّاد. والشعر لم يرد في ديوانه.

الأنبياء من المجبرة ولا أحسن ثناءً على الشيطان منهم. قيل: ولِمَ؟ قال: يزعمون أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ ما ترك معصية قطّ قدر عليها ولا أتى طاعة قدر على تركها ولو قدر على المعاصي لكان أعصى خلق الله، وزعموا أنّ الشيطان لم يترك طاعة قدر عليها ولا أتى معصية قدر على تركها ولو قدر لكان أطوع خلق الله، فهذا ثناؤهم على الأنبياء وعلى الشيطان.

وناظر معتزليّ مجبراً فقال: الاستطاعة قبل الفعل. قال: ولِمَ؟ قال: لقوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾، ثمّ قال: ﴿وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[1] فكذّبهم في قولهم، فلا يخلوا إمّا أن كانوا مستطيعين فلم يخرجوا أو ولو أعطوا [الاستطاعة] لم يخرجوا، وأيُّ ذلك كان فالحجّة قائمة. فانقطع المجبر. ثمّ قال: صدقوا! لو استطاعوا لخرجوا ولكن لم يعطوا القدرة. فقال المعتزليّ: فما بال التكذيب؟ قال: لا أدري. قال: هذا كفر وردّ لكتاب الله تعالى[2].

وقال عدليّ لمجبر: ما تقول في من لا يقدر على القيام، أيجوز له أن يصلّي قاعداً؟ قال: نعم. قال: تقول في القاعد [انّه] يقدر على القيام؟ قال: لا. قال: أفيجوز له أن يصلّي قاعداً؟ قال: لا. قال: ناقضت.

ومرّ الواثق[3] بيحيى بن كامل[4] فقال: ألست الإمام؟ قال: بلى. قال:

(1) سورة التوبة (9) : 42.

(2) نقله الرازي في تبصرة العوامّ: 265. ونقله أيضاً مع أكثر ما يليه إلى حكاية الهرّة والفارة البياضي في كتابه الصراط المستقيم 3 : 70 - 71 ملخّصاً.

(3) هو هارون بن محمّد المعتصم، تاسع الخلفاء العباسيّين، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة 227) وتوفّي بسامراء في سنة 232.

(4) هو أبو علي يحيى بن كامل بن طليحة الخدري، من المتكلّمين، كان من المرجئة ثمّ انتقل إلى مذهب الإباضيّة، ومات حوالى سنة 240.

إذا مررت برجل في وقت الصلاة ما الّذي يجب عليّ؟ قال: تقول له قم فصلّ. قال: فإن قال لا أقدر عليها لأنّي مقعد أأصدّقه؟ قال: نعم. قال: أو أعذره يصلّي قاعداً؟ قال: نعم. قال: فإن قال لا أقدر على القيام لأنّي متشاغل بالقعود وليس في قدرتي القيام أأصدّقه؟ قال: نعم. قال: أفأعذره أن يصلّي قاعداً؟ قال: لا. قال: إذا كانا صادقين فلِمَ أعذرت أحدهما ولم تعذر الآخر؟ فانقطع[1].

وقال له الواثق: ما التوبة؟ قال: الندم على ما فات والعزم على أن لا يعود. قال: أفيقدر عليهما؟ قال: لا. قال: فإذا كان لا يقدر عليهما فما معنى التوبة؟ فانقطع.

وزعم الكلبي[2] أنّه لمّا نزل قول الله تعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[3] اشتد ذلك عل المسلمين فنسخ ذلك بقوله:﴿فاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُم﴾[4][5] فقال بعض من حضر: هذا يكسر قولنا في الاستطاعة. قال: كسره الله! سبحان من يسّر ولم يعسّر، وكيف يعسّر من قال: ﴿وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[6].

وقرأ قارىء ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَها﴾[7]، فقال بعض المجبرة من

---

(1) نقله الرازي في تبصرة العوامّ: 266.

(2) هو أبو النّضر محمّد بن السائب الكلبي الكوفي، المتوفّى سنة 146، النسّابة الراوية، العالم بالتفسير والأخبار وأيّام العرب. صنّف كتاباً في تفسير القرآن.

(3) سورة آل عمران (3) : 102.

(4) سورة التغابن (64) : 16.

(5) انظر جامع البيان للطبري (طبعة شاكر) 7 : 68 - 69/ مجمع البيان للطبرسي (بيروت - 1961) 4 : 157.

(6) سورة الحج (22) : 78.

(7) سورة البقرة (2) : 286.

شيوخنا: بئست الآية هذه الآية!، فأنكروا عليه، فقال: لأنّها تنقض قولنا في الاستطاعة.

وقيل لصقر المجبر: أكان فرعون يقدر على الإيمان؟ قال: لا. قال: فعلم موسى أنّه لا يقدر عليه؟ قال: نعم. قال: فلِمَ بعثه الله إليه؟ قال: سخر به!

وحضر شيخنا أبو هاشم المجبر مجلساً وبعض المعتزلة يقول: المجبرة خصماء الرحمن وشهود الشيطان. فقام شيخنا أبو هاشم وقال: إذا كان يوم القيامة نودي أين شهود إبليس؟ قمت وشهدت له أنّ الله منعه من السجود.

واجتمع النظّام والنجّار للمناظرة، فقال النجّار: لِمَ تدفع أنّ الله كلف عباده ما لا يطيقون؟ فسكت النظّام. فقيل له: لِمَ سكتّ؟ قال: كنت أريد بمناظرته أن ألزمه القول بتكليف ما لا يطاق، فإذا التزم ذلك ولم يستحِ فما الّذي ألزمه بعد ذلك.

وسأل معتزليّ مجبراً فقال: أليس الكافر ممنوعاً من الإيمان؟ قال: بلى. قال: فهل يكون قوله «لا أقدر عليه» حجّة؟ قال: نعم. قال: فما معنى قوله تعالىٰ: ﴿لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1]؟ فانقطع. فقام المعتزليّ وأنشد:

ليس خلق له على الله حجّة　　　فالزم القصد إن عرفت المحجّة

ومرّ أبو الهذيل راكباً على الحسين النجّار وهو قاعد على باب دار المهالبة، فقال: انزل حتّى أسألك. قال: أتقدر أن تسألني؟ قال: لا. قال:

---

(1) سورة النساء (4) : 165.

أفأقدر أن أجيبك؟ قال: لا. قال: فبِمَ أعني نفسي[1]؟

وقال أبو الهذيل للنجّار: أخبرني عن رجل في الشمس أمره الله تعالى أن ينتقل إلى الظلّ، متى تحصل له استطاعة الانتقال؟ قال: مع النقلة. قال: فأعطي استطاعة النقلة وهو في الشمس أو أعطي وهو في الظلّ؟ فإن قلت بالأوّل تركت مذهبك وإن قلت بالثاني فقد انتقل بغير استطاعة. فانقطع. ثمّ قال: وأخبرني عن موسى ـ عليه السّلام ـ إذ أُمِرَ بالقاء العصا، هل أعطي قدرة الإلقاء وهي في كفّه أو بعد ما ألقى؟ فإن قلت بالأوّل فالاستطاعة قبل الفعل، وإن قلت بالثاني فقد ألقى بغير استطاعة. فقال: مع إلقائها. قال: وهي في كفّه أو خارجة من كفّه فلا فاصل بينهما؟ فانقطع.

وسأل مجبر أبا الهذيل: هل تقدر على أن تفعل شيئاً؟ قال: نعم، أقدر على أشياء أقدرني الله تعالى عليها باستطاعة ركّبها فيّ. قال: خذ تلك الصعوة من رأس ذلك الحائط. قال: ذلك من استطاعة الباشق[2]!

وسأل عدليّ مجبراً فقال: ما تقول أكان فرعون قادراً على الإيمان؟ قال: لا. قال: فعلم موسى أنّه لا يقدر عليه؟ قال: نعم. قال: فلو قال فرعون لموسى أأقدر على الإيمان الّذي تدعوني إليه ما كان يقول موسى له؟ قال: كان يقول لا تقدر. قال: فلو قال فلماذا جئتني وأنا لا أقدر على ما تدعوني إليه، أيش كان يجيب؟ قال: كان يقول لا أدري. قال: فلو قال فرعون اذهب فاعلم ثمّ ارجع فإنّي إذا قدرت آمنت ـ جئت أو لم تجيء ـ أيش كان يقول؟ فانقطع المجبر[3].

---

(1) انظر الطرائف لابن طاوس: 331 ومصابيح الأنوار لشبّر 1 : 146.

(2) نسبه ابن شهر آشوب في كتابه متشابه القرآن: 120 إلى النظّام.

(3) نقله الرازي في تبصرة العوامّ: 266.

وعن عبدان(1) رأيت أبا رملة المجبر يدخل على أبي شعيب(2) فدخلت معه، فسأله حاجة، فقلت: أيقدر أبو شعيب أن يقضي حاجتك؟ قال: لا قلت: فلِمَ تسأله ما لا يقدر وتغضب إن لم يفعل؟ فسكت.

وكان عبدان هذا ظريفاً مليح المسائل. قال له ابن بالويه المجبر(3): ما دليلك على أنّ الاستطاعة قبل الفعل؟ قال: الهرّة والفارة! فغضب ابن بالويه وقال: أتهزأ بي؟ قال عبدان: ما قلت لك إلاّ الحق، لولا أنّ الفارة تعلم أنّ السّنور يقدر على أخذها لما هربت! فانقطع.

وقال عبدان: صحبني رجل من المجبرة إلى باب داره، فقلت: أيقدر باب دارك وهو على هذه الهيئة أن يأخذ بثيابي؟ قال: لا. قلت: فلو أعطاه الله

---

(1) لعلّه عبدان الخُسر وجِردي، أبو بكر عبد الملك بن عبد الحليم البيهقي، المتوفّى سنة 292. روى عن يحيى بن يحيى المنقري النّيسابوري (تاريخ بيهق: 142)، وإن كان المشتهر بهذا اللّقب في تلك الأعصار هو الإمام أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن عيسى المروزي، من أئمّة الحديث بمرو ومن معاصري محمّد بن اسحاق بن خزيمة النيسابوري. كان فقيهاً حافظاً زاهداً. ولد سنة 220 وتوفّي سنة 293 بمرو (الأنساب للسمعاني 9 : 180 - 182).

(2) لعلّه محمّد بن شعيب البيهقي، مفتي الشافعيّة بنيسابور. كان مكرّماً عند الأمراء وحظي بالمال والرئاسة. توفي سنة 324 (تاريخ بيهق: 158).

(3) كان بيت بالويه من بيوت العلم بنيسابور في القرنين الرابع والخامس، وقد نشأ منه علّة من المحدّثين ترى ذكرهم في كتاب الأنساب للسمعاني (تحت عنوان «البالويي») منهم أبو العبّاس بالويه بن محمّد بن بالويه، تلميذ ابن خزيمة النيسابوري (تاريخ بيهق: 160)، وأبو حامد أحمد بن محمّد بن بالويه، تلميذه الآخر (المنتخب من السياق للصريفيني: 470/ تذكرة الحفّاظ للذهبي 2 : 260 و265)، وأبو بكر محمّد بن أحمد بن بالويه الجلاّب، شيخ الحاكم وابن مندة والمتوفّى سنة 340 (سير أعلام النبلاء 15 : 419/ الوافي بالوفيات للصفدي 2 : 40)، وأبو محمّد عبد الرّحمن بن محمّد بن أحمد بن بالويه، المتوفّى سنة 410 (الصريفيني: 471 - 472/ سير أعلام النبلاء 7 : 240 - 241/ السمعاني 2 : 59) ولعلّ هذا الأخير أشهرهم.

القدرة يستطيع أن يأخذ بثيابي؟ قال: نعم. قلت: أتقدر أنت وأنت على هذه الهيئة أن تأخذ بثيابي؟ قال: لا. قلت: فلو أعطاك الله القدرة على أخذها أخذتها؟ قال: نعم. قلت: فما الفرق بينك وبين هذا الباب؟ فسكت.

وناظر عدليّ مجبراً فقال: ما تقول، لو قدرتَ على قتل الأنبياء والأئمّة ـ وهتك المحارم وإحراق المصاحف وتخريب الكعبة ونبش قبر النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ وهدم المسجد، أتفعل ولا تدع شيئاً من ذلك خوفاً من الله تعالى ولا حرمة لأمره ولا خشية من عقابه ولا رجاءً لثوابه؟ قال: نعم. قال: فمن كان هذا اعتقاده كفى به خزياً! فافتضح[1].

وكان لمجبر غريم عدليّ فقال: أعطني حقّي. فقال: لا أقدر على أن أعطيك حقّك! فقال المجبر: أنا الآن أقول بقولك، نعم تقدر أن تعطيني. فقال: ما تصنع بمذهب لا يمكنك معه أن تقاضي غريمك؟ دعه واسترح!

وسأل رجل سلاّم القاري أبا المنذر[2] فقال: ما تقول في رجل قائم في الماء حلف بطلاق امرأته أنّه لا يقدر أن يتوضّأ للصلاة؟ فقال له: يا قدريّ الخبيث! فقيل له: إنّ هذا قرشيّ. فقال: يا بن أخي! طلقت امرأته. فقال: تركت مذهبك.

وذكر أبو موسى المردار[3] فقال: إجعل كلام المجبرة القدريّة حجّة عليهم

---

(1) نقل الرّازي هذه القصة والتي قبلها في تبصرة العوامّ: 266 - 267.

(2) مضى ذكره. والقصّة منقولة في الصراط المستقيم 3 : 69 ملخّصة، إلاّ أنّ في المطبوع منه سلاّم «الفارسي» بدل «القاري» خطأ.

(3) هو عيسى بن صبيح المردار، من كبار المعتزلة، وهو الّذي أظهر الاعتزال ببغداد. توفّي سنة 226.

في كلّ شيء، إذا قال أحدهم افعل كذا فقل هل أقدر عليه؟ فإن قال نعم ترك مذهبه، وإن قال لا فقل فلِم تأمرني بما لا أقدر عليه؟

وقال عدليّ لمجبر: أليس الله تعالى يقول: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ﴾[1]؟ فالتفت إلى قوم عنده وقال: أنظروا إلى هذا يزعم أنّ الشيطان يقدر أن يعمل شيئاً. فقال: يا أحمق! هذا نصّ الكتاب وليس بقولي. فانقطع.

وسأل عدليّ مجبراً عن قوله تعالى: ﴿وَما مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾[2] ما معناه على قولك؟ قال: هذا لا معنى له، إذا كان هو المانع فما معنى السؤال؟ قال السائل: أيمنعهم ثم يسألهم؟ قال: نعم قضى على عباده بالسرّ ما منعهم في العلانية وأوعدهم عليه[3]. فقال السائل: أيكون هذا فعل حكيم؟ ثمّ قال: فما معنى قوله تعالى: ﴿وَماذا عَلَيْهِم لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[4] وإن كان هو منعهم؟ قال: استهزأ بهم! قال: فما معنى قوله ﴿ما يَفْعَلُ اللهُ بِعَذابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُم﴾[5]؟ قال: قد فعل ذلك بهم وعذّبهم من غير ذنب جنوه، بل ابتدأهم بالكفر ثمّ عذّبهم عليه، وليس للآية معنى. فقال: هذا ردّ لكتاب الله تعالى. فقال: أيش أصنع إذا كان هذا هو المذهب؟

وكان بالبصرة رجلٌ نصرانيّ فكتب كتاباً ذكر فيه «شهد الشهود المسمّون في آخر هذا الكتاب أنّ فلاناً النصراني لا يقدر على الإيمان، وأنّ

---

(1) سورة النمل (27) : 24.

(2) سورة الإسراء (17) : 94.

(3) في اليمنية: وصدّهم عنه.

(4) سورة النساء (4): 39.

(5) السورة نفسها: 147.

الله خلق فيه النصرانيّة وقضاه عليه وقدّره وأراده واختاره له، وأنّه منعه من الإيمان، وأنّه أتى في ما أتى من قبل ربّه!. وكان يأتي المجبرة ويأخذ خطوطهم ويقول: اكتبوا شهاداتكم حتى تشهدون لي يوم القيامة، وكانوا يكتبون. والمعتزلة يسخرون منهم ويقولون: هؤلاء شهود الشيطان، فيسكتون[1].

وسأل عدليّ مجبراً عن قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾[2]، فقال: ليس من هذا شيء بل أضلّهم وخلق فيهم العمى. قال: فما معنى الآية؟ قال: مخراف مخرف به! قال: كفرت! فسكت.

وسأل آخر عن ذلك فقال: معناه هدينا المؤمنين فاستحبّ الكافرون العمى. فقال: ما أجهلك وأشدّ مكابرتك! هل قال أحد ضربت زيداً فبكى عمرو؟ ثمّ هل الاستحباب فعلهم أو مخلوق فيهم؟ فانقطع.

وسأل عدليّ مجبراً فقال: هل كان النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - يقدر أن يهدي أحداً؟ قال: لا. قال: فما معنى قوله ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[3]؟

(1) نقل البياضي هذه القصّة عن مؤلّفنا الحاكم في كتابه الصراط المستقيم 1: 38 - 39 و3 : 63. وانظر الطرائف لابن طاوس: 332.

(2) سورة فصّلت (41) : 17.

(3) سورة الشورى (42) : 52.

الباب السابع

في الإرادة والكراهة

فكرت وقلت من أصول هذا الباب مسألة الإرادة، فألقيت إلى الناس أنّه تعالى مريد بذاته أو بإرادة قديمة وأنّه يريد جميع المعاصي والكفران ويكره من الكفّار إيجاد الإيمان، وأنّه أراد قتل الأنبياء والمؤمنين وأراد عبادة الأوثان وسبّ نفسه. فقبلتم ذلك منّي ووافقتموني عليه ودنتم به وناضلتم عنه.

وأنكرت المعتزلة ذلك أشدّ الإنكار، وقالوا: هذا يخالف الدّين، وتلوا ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ﴾[1] وقالوا: إرادة القبيح قبيحة والحكيم لا يريد سبّ نفسه ولا قتل أنبيائه، وكيف يأمر بشيء ثمّ يكرهه؟ وكيف ينهي عن شيء ثمّ يريده؟ قالوا: وقد فعل تعالى غاية ما يدلّ على أنّه لا يريد المعاصي من النهي والزجر والإيعاد بالعقاب وإقامة الحدود وإيجاب اللّعن.

حضر جماعة من المعتزلة مع المجبرة، فقال معتزلي لمجبر: ما الّذي أراده الله من فرعون؟ قال: الكفر. قال: وما الّذي أراده إبليس منه؟ قال: الكفر. قال: وما الّذي أراده فرعون؟ قال: الكفر. قال: وما الّذي أراده موسى؟ قال: الإيمان. قال: فإذاً هو المخالف لله وأمّا ابليس وفرعون فوافقاه. فانقطع.

وحضرني جماعة منهم يوماً فجرت هذه المسألة، فقالت بعض المعتزلة: لعن الله الشيطان وجنده حيث خالفوا الرّحمن وحزبه. فقال بعض المجبرة:

---

(1) سورة غافر (40) : 31.

لِمَ تلعن هذا الشيخ وقد وافق الله في الإرادة؟ فقال المعتزلي: كذبت! بل خالف الله ووافقكم وأنتم حزب الشيطان ونحن حزب الله، ﴿أَلا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وسأل أبو عثمان الجاحظ[2] أبا عبد الله الجدلي: هل أمر الله المشركين بالإيمان؟ قال: أي والله! قال: فهل أراده منهم؟ قال: ولا والله! قال: أيعذّبهم على ذلك؟ قال: اي والله! قال: فهذا حسن؟ قال: لا والله[3]!

وسأل عدليّ مجبراً: ما تقول، إرادة الله أحسن وأفضل للعباد أم إرادة رسوله؟ قال: بل إرادة الله. قال: أليس عندك أنّه أراد الكفر وقتل الأنبياء والمعاصي والزنا والسرقة وعبادة الأوثان، وأراد النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ الإيمان والطاعة وترك المعاصي؟ فقد زعمت أنّ الكفر أحسن وأفضل من الإيمان. فقال: أقول إرادة الرّسول. فقال: زعمت أنّ إرادة العباد واختيارهم خير وأفضل من إرادة أرحم الرّاحمين. فانقطع.

وسأل عدليّ مجبراً فقال: ما تقول، إرادة ابليس للعباد خيرٌ أو شرٌ؟ فقال: شرّ لأنّه أراد أن يضلّوا ويكفروا. فقال: أوَيستحقّ بذلك اللعنة؟ قال: نعم. قال: أليس عندك أنّه تعالى أراد ذلك؟ فوجب أن يكون إرادته أيضاً شرّاً. فانقطع.

وسأل عدليّ مجبراً فقال: ما تقول في رجل زعم أنّ جميع ما كان في أيّام النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ من الكفر والفجور وعبادة

---

(1) سورة المجادلة (58) : 22.

(2) هو عمرو بن بحر الكناني البصري، كبير أئمّة الأدب ومن رؤساء المعتزلة. مات سنة 255.

(3) نقله البياضي في الصراط المستقيم 3 : 67.

الأصنام والأوثان والفتن كان منه أو بفعله وإرادته، ما تقول فيه؟ قال: أقول إنّه زنديق كافر يستحقّ القتل لسوء ثنائه على رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ. قال: فلو قال ذلك في أبي بكر وعمر أو في واحد من الصحابة؟ قال: أقول يرجم ويُقْتل لطعنه في الصحابة. قال: أليس عندك أنّ جميع ذلك من الله وخلقه وإرادته؟ أليس هذا سوء ثناء عليه؟ أتحبّ تنزيه النبيّ والصّحابة ولا تحبّ تنزيه ربّ العالمين؟ فانقطع[1].

وسأل عدليّ مجبراً فقال: جرى اليوم بين رجلين حديث أريد أن أعلم حقيقته: قال: هات! قال: جرى ذكر الكفر والمعاصي وترك إبليس السجود لآدم، فقال واحد كان كلّ ذلك من الله وإرادته وخلقه، وقال الآخر بل كان ذلك من إبليس والله منه بريء، فأيّهما أحقّ؟ قال: الحقّ ما قال الأوّل وصدق فيه، إنّ جميع الكفر والمعاصي والضلال من الله قضاه وقدّره والشيطان منه بريء، وكذب الثاني حيث أضافه إلى الشيطان. قال: بل كذبت! تنزّه الشيطان ولا تنزّه الرحمن؟ فانقطع.

وكان مجبر يقصّ فقال في قصصه: كان النبيّ يحبّ إيمان أبي طالب ويكره إيمان وحشي[2] لقتله حمزة، فنزل جبريل وقال: يقول الله ما تحبّ وتريد لا يكون وما تكرهه يكون، يؤمن وحشي ولا يؤمن أبو طالب. قال: وفيه نزل: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[3]، وفي وحشي: ﴿قُلْ يا عِبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ﴾[4]. فقام عدلي

(1) نقل بتلخيص في الصراط المستقيم 3 : 67 - 68.

(2) هو وحشي بن حرب الحبشي، قاتل سيّدنا حمزة عمّ رسول الله. مات في خلافة عثمان.

(3) سورة القصص (28) : 56.

(4) سورة الزمر (39) : 53.

وقال: إلى متى تكذب على الله وعلى رسوله. وكتابه وتضعه في غير موضعه؟ كأنّ هذا نزل برغم النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - ، فصفعوه وأخرجوه.

وجاء نصرانيّ إلىَ رجل معتزليّ وقال: أريد أن أسلم على يديك فقد عرفت الحقّ. قال: وكيف ذلك؟ قال: اختلفت إلى رجل أداوي عينه فقال لي يوماً: قد وجب عليّ حقّك وأريد أن أنصحك، قلت: ما ذاك؟ قال: أسلم، قلت: تريد نصيحتي وإسلامي؟ قال: نعم، قلت: فالله يريد نصيحتي وإسلامي؟ قال: لا، قلت: فأيّهما أحقّ، أن أعبد وأشكر من يريد نصيحتي وإسلامي أو من لم يرده، فانقطع[1]، فعلمت أنّ القوم ليسوا على شيء[2]. فأسلم وحسن إسلامه. فقال العدليّ: صدقت فإنّ في زعم المجبرة أنّه تعالى يريد فساد الخلق وأنّه خلق فيهم الكفر ثمّ يعذّبهم، فمن أراد صلاحهم فهو المنعم الّذي يجب شكره. ومن كان هذا بناء مذهبه كفى به خزياً.

(1) نقل في الصراط المستقيم 3 : 68.

(2) لم يذكر وجه معرفة النّصراني للحقّ فالظّاهر أنّ هنا سقط.

الباب الثامن

الكلام في القرآن

فكرت وقلت: مدار أمرهم على القرآن، عليه يعتمدون وإلى آياته يرجعون ومنه يأخذون ويتلون ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾[1]، ويروون عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ : عليكم بالقرآن فإنّ فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم[2]، وعلمت أنّي لو دعوتهم إلى رفض الكتاب أصلاً ما تمشّى لي أمر، فطلبت للكلام مجالاً وأتيتهم حالاً فحالاً، أستدرجهم من حيث لا يعلمون.

فألقيت إليكم أوّلاً أنّ ما في المصحف ليس بقرآن ولا كلام الله، وأنّ المكتوب والمسموع من القارئين والمتلوّ فى المحاريب والمفصّل من الآيات والسور ليس بقرآن، وإنّما القرآن صفة قائمة بذات الباري لا يقرأ ولا يسمع، تنفيراً عمّا في المصحف. فأمّا أنتم معاشر إخواني فقبلتم ذلك منيّ وجعلتم ذلك عمدة دينكم وأوصى به السلف الخلف، ورددتم على المعتزلة حيث خالفوكم وخالفوني وقالوا: كلام الله سور وآيات والقرآن متلوّ ومسموع ومكتوب ومحفوظ، وأنّه تعالى كلّم موسى في وقته وكلّم محمداً في حينه، وكيف يقول: يا موسى ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾[3] وبعد لم يخلق موسى ولا

(1) سورة آل عمران (3) : 103.

(2) موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب البغدادي 1 : 51 وفيه: نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم.

(3) سورة الأعراف (7): 117 وسورة النمل (27): 10 وسورة القصص (28): 31.

العصا؟ وكيف يقول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾[1] وبعد لم يخلق أحداً؟، وقالوا: كلام الله هو هذه السور والآيات وهو القرآن ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرآناً عَرَبِيّاً﴾[2] وقال: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[3]، وما قلتم فيه وما جئتم به من صفة الكلام فهو غير معقول. وكثر الكلام بينكم وبينهم حتّى ظهر الحقّ، وعلمت أنّ هذا الباب لا يتمشّى في المعتزلة.

ففكرت وألقيت إليكم أنّ هذا الكتاب جمع عثمان - والغرض التشكيك في القرآن - وأنّ فيه زيادةً ونقصاناً، وأنّ بعضه ضاع كما أنّ بعضه شاع. فقبلتم أنتم ورويتم أنّ داجناً أكل بعضه وأنّ بعضهم غيّر بعضه. وقالت المعتزلة: هذا شرّ من الأوّل ففيه هدم الدّين، وكيف يضيع ما ضمن حفظه ربّ العالمين فقال ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[4]؟ وانّ هذا القرآن أنزل على رسول الله - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - كما هو الآن، نزلت الآيات والسور وبيّن المواضع والمبادىء والمقاطع، وكان كثيرٌ من الصحابة يحفظونه كلّه كأمير المؤمنين - عليه السّلام - وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عبّاس وأبيّ بن كعب وعثمان وأبي هريرة وعمر بن الخطّاب وغيرهم، ولمّا كان يوم مسيلمة الكذّاب وقتل حفّاظ الكتاب أمر الصّديق بكتب القرآن في المصاحف ثمّ جمعها عثمان على مصحف هو التامّ كما كان في أيّام رسول الله، ورووا أنّ أبيّاً قرأ القرآن كلّه على رسول الله - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - وأنّ عليّاً قرأه على رسول الله كما هو.

---

(1) سورة المدّثّر (74) : 1.

(2) سورة يوسف (12) : 2.

(3) سورة ق (50) : 1.

(4) سورة الحجر (15) : 9.

فصل

حضرت مجلساً حضره المعتزلة والمجبرة، فقال بعض المجبرة: أنزل الله تعالى القرآن بعضه متشابهاً ليضلّ النّاس عن الدّين، ولو أراد هديهم لأنزله محكماً. فقال المعتزلي: كذبت بل أنزله الله كذلك ليدبّروا آياته ويعلموا الحقّ ويميّزوا المحكم ويردّوا إليه المتشابه ليستحقّوا الثواب، كما وصفهم بأنّهم الراسخون في العلم، وكيف يقال هذا والله تعالى يقول: ﴿تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[1] وقال: ﴿إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2]؟ فبهت.

وسئل مجبر: ما تقول، القرآن مخلوق؟ قال: لا. قال: لِمَ؟ قال: لأنّه لو كان مخلوقاً لكان ابن عمّ الخليفة، لأنّهما عربيّان مخلوقان. قال: فقل قصيدة امرىء القيس بنت عمّ الخليفة. فانقطع.

قيل لأبي مجالد[3]: آأنت تقول القرآن مخلوق؟ قال: لا. فقيل: أتقول إنّه خالق؟ قال: هو شرّ. قال: فإذا كان لا خالق ولا مخلوق فكيف تقول؟

وقيل لعدليّ: ما تقول في القرآن؟ قال: لا أعرف غير شيئين خالق ومخلوق، فانظروا أيّهما هو.

ودخل أحمد بن حنبل[4] على بعض الولاة تشبّه بمصاب، فقال: ما

---

(1) سورة النحل (16) : 89.

(2) سورة الإسراء (17) : 9.

(3) كذا في الأصل، ولعلّه محرف. وكيف كان فلا يمكن أن يكون هذا أبا مجالد أحمد ابن الحسين البغدادي المعتزلي، الماضي ذكره، بل كان هو أحد مخالفي المعتزلة كما هو واضح من سياق الكلام.

(4) إمام المذهب، الماضي ذكره.

بالك؟ قال: وقعت مصيبة عظيمة! قال: وما هي؟ قال: مات القرآن! قال: كيف وكيف؟ قال: إذا كان مخلوقاً جاز أن يموت. قال: ليس هو حيّاً حتى يموت، إنّما هو كلام. فانقطع.

وقيل لمجبر: القرآن معجز؟ قال: نعم. قال: فمن شرط المعجز أن يكون عقيب الدعوى ويختصّ بالمدّعي، والقديم لا يختصّ. فسكت.

وسأل عدليّ مجبراً: هل يقدر الله أن يكلّم أحداً؟ فقال: لا لأنّ الكلام ليس بمقدور له. فقال: هو أضعف من العباد؟ فقال: بل هو أقدر. فقال: قد قلت إنّ الكلام ليس بمقدور له. فانقطع.

وحكى بعض مشايخ المجبرة أنّ ابراهيم الخواصّ[2] رأى رجلاً مصروعاً فأذّن في أذنه، فناداه الشّيطان من جوفه: دعني أقتله فإنّه يقول القرآن مخلوق. فقال معتزلي: إن كان الشيطان يقدر على القتل فهلّا قتل جماعة المعتزلة، ولكنّ الحمد لله حيث لم نوافق الشيطان ووافقتموه أنتم. فانقطع.

(1) هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل السامرائي، من مشايخ الصوفية. توفّي سنة 291.

(2) انظر القصّة في التدوين للرافعي (بيروت ـ 1408) 4 : 140.

الباب التاسع

في النبوّات

لمّا رأيت أنّ أساس أمرهم على النبوّة وقواعد دينهم على الرسالة فبها يحتجّ الله على العباد حيث قال: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[1] وقال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2]، ووجدتهم أجمعوا على النبوّات وعدّوها أصلاً وردّوا على البراهمة واليهود في إنكارها، علمت أن لا مجال للكلام في دفعها أصلاً. فدبّرت في هدمها من وجه لا يعلمون وأتيت في ذلك شيئاً فشيئاً من حيث لا يشعرون.

فأوّل ما ألقيت إليهم من هذا الباب: أنّ الرسول لا معنى له والكتاب لا فائدة فيه، لأنّه إذا كان الإيمان والكفر من خلق الله والكافر لا يؤمن إذا لم يخلق فيه الإيمان وان مُلِئ الدّنيا بالرسل والكتب، وإن خلق فيه الإيمان آمن وإن لم يكن ثَمّ رسول ولا كتاب، فأيّ فائدة للرّسل وأيّ تعلّق له بالأعمال؟ وإذا قيل لئلاّ يكون للعباد حجّة فقولوا أيّ حجة أعظم من أن يقول: خلقت فيّ الكفر وأردته وأعطيت الاستطاعة الموجبة له ومنعتني من الإيمان فلم تخلقه فيّ ولم ترده، فهل ينفع مع هذا رسول أو تنقطع حجّة؟. فقامت المعتزلة على إنكار هذه المقالة وقابلوني بالردّ، وقبلتم أنتم، فشكرت سعيكم.

---

(1) سورة النساء (4) : 165.

(2) سورة الإسراء (17) : 15.

ولمّا أظهرتِ هذه الفصول في أمر الرّسول قام معتزليّ وقال: كذبت يا عدوّ الله على الله وعلى رسله، بل العبد مخلّىٰ كما قال [الله تعالىٰ]: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1]. قلت لمشايخنا: أجيبوه! فلم يكن عندهم شيء.

ولمّا لم يقبلوا منيّ هذا دبّرت فألقيت إليهم أنّ الانبياء يكذبون ويذنبون، وأنّ آدم أكل من الشجرة حتّى أخرج من الجنّة، وأنّ ابراهيم كذب ثلاث كذبات، وأنّ يونس غضب على ربّه فحبس في بطن الحوت بعقوبته، وأنّ داود عشق امرأة اوريا فأمر به[2] فقتل فتزوّج بامرأته بعد أن كان قال كلني إلى نفسي، وأنّ سليمان عبد الصنم في بيته وجلس الشيطان على سرير ملكه وباشر نساءه وجواريه في حال الحيض ولم يصلّ العصر اشتغالاً بالخيل ثم عاقبها بضرب السوق والأعناق، وأنّ يوسف قعد بين فخذي امرأة العزيز حتى نودي بالنهي عن الذنب، وأنّ إخوته ألقوه في الجبّ وهم بالغون أنبياء لما آثره أبوه عليهم بالحبّ، وأنّ محمّداً مدح الأصنام فقرأ: «تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى»، وأنّه عشق امرأة زيد فحملهما على الافتراق فأمر زيداً بالطلاق ثمّ تزوّج بها وخاف النّاس ولم يخف الله. كلّ ذلك تنفيراً عن المرسلين الّذين هم أصل الدّين.

فقبلتم ذلك مني وذكرتموه على المنابر ودرستموه في المدارس ودوّنتم ذلك في الكتب، غير هؤلاء المعتزلة ـ الّذين هم أعدائي وأعداؤكم ـ فإنّهم أنكروا ذلك كلّه وقالوا: الأنبياء معصومون عن الخطأ والزلل في القول والعمل، وأنّ أقوالهم وأفعالهم حجّة، وأنّهم شهداء الله على خلقه والقائمون على دينه وهم المختارون الموصوفون بأنّهم المخلصون.

(1) سورة الكهف (18) : 2.

(2) في الدرّ النفيس مكان «فأمر به»: فقدّمه في الحرب.

ولـمّا وقعت هذه المسألة وأظهر كلّ مذهبه لم يصدّقوا شيئاً مما روينا ولا قبلوا شيئاً مما قلنا، وذكروا أنّه قيل الشيطان ودسيس الملحدين، وكيف يجوز ذلك عليهم وهم الأخيار الأبرار كما قال الله: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الـمُصْطَفَيْنَ الأخيار﴾[1]، فطالبنا المعتزلة بتصحيح مذهبهم، فذكروا أمراً معقولاً وتلوا آيات وفصولاً.

قلنا: ما معنى قصّة آدم؟ قالوا: كان نهي تنزيه لا نهي تحريم، أو ترك الاستدلال فأكل غير ما وقع إليه الإشارة بالمقال. قلنا: فما باله سمّى ابنه عبد الحرث حتى وصفا بأنّهما ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكاءَ﴾[2]؟ قالوا: كذبت! لم يكن ذلك من آدم وإنّما كان قوم من أولاده قالوا ذلك.

قلنا: فما معنى قول إبراهيم: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً في النُّجُومِ فَقالَ إنّي سَقيمٌ﴾[3]؟ قالوا: كان سقيماً. قلنا: قوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبيرُهُمْ﴾[4] قالوا: قال بشرط أن يتكلّموا.

قلنا: فحديث داود؟ قالوا: كلّ ما رويتم فكذب وزور.

قلنا: فحديث سليمان؟ فقالوا: لم ينزل بما قلتم القرآن. قلنا: قوله ﴿وَأَلْقَيْنا عَلىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَداً﴾[5]؟ قالوا: هو جسده يمرض. قلنا: قوله ﴿رُدُّوها عَلَيَّ﴾[6]؟ قالوا: ذلك الخيل فمسح سوقها وأعناقها وسبّلها.

(1) سورة ص (38) : 47.
(2) سورة الأعراف (7) : 190.
(3) سورة الصّافّات (37) : 89.
(4) سورة الأنبياء (21) : 63.
(5) سورة ص (38) : 34.
(6) السورة نفسها: 33.

قلنا: فحديث إخوة يوسف؟ قالوا: كانوا أطفالاً ولذلك قالوا «نرتع ونلعب»[1].

قلنا: فحديث يوسف: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾[2]؟ قالوا: همّها للقبيح وهمّه للدفع ولذلك قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾[3].

قلنا: فمحمّد حيث قال: «تلك الغرانيق العلى» في أثناء كلام ربّ العالمين؟ قالوا: لا بل قرأها بعض المنافقين وألقاها في أثناء كلام خاتم النبيّين. قلنا: أليس عشق امرأة زيد؟ قالوا: حاشا وكلاّ.

فصل

فكرت وقلت: مدار أمر النبوة على المعجز، فألقيت إليهم أنّ المعجز يظهر على غير الأنبياء بل يظهر على المتنبّين والكفّار والمفترين، فإذا ذكروا فلق البحر لموسى قابلناهم بوقوفه وجريه لأمر فرعون، وإذا ذكروا المسرى إلى بيت المقدس قابلناهم بمسرى كثير من النّاس أكثر من ذلك. فقبلتم ذلك منّي أحسن قبول واقتديتم بي فيه.

وأنكرت المعتزلة ذلك وكفّروا من قال انّ البحر وقف لفرعون بأمره أو جرى بذكره، وقالوا في هذا هدم الدّين.

---

(1) مأخوذ من قوله تعالى في سورة يوسف (12) : 12 حكاية عن إخوة يوسف: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ﴾.

(2) السورة نفسها: 24.

(3) السورة نفسها: 24.

فصل

قلت من معظم هذا الأمر الشرائع، فألقيت إليهم أنّ الحقيقة غير الشريعة. فقبلتم ذلك وصرّحتم به واعتمدتم عليه وقلتم في مجالسكم: الشريعة كذا والحقيقة كذا.

غير هؤلاء المعتزلة فإنّهم أنكروا ذلك وقالوا: الحقيقة هي الشريعة وكلّ ما ليس بشريعة فهو كفر، ورووا: من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو ردّ، وتلوا: ﴿وَمَا آتَيكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1].

---

(1) سورة الحشر (59) : 7.

الباب العاشر

الكلام في الإمامة والأمر بالمعروف

تدبّرت أبواب الإمامة فوجدت لنفسي فيها مجالاً وفي ذلك المقام مقالاً، ورأيت أنّه ليس بعد النبوّة أمرٌ أعظم من الإمامة ولا محلّ أجلّ من محلّ الزعامة، ولم يمكنني دفعها رأساً فوضعت لرفعها أساساً وقلت: بين أهل البيت والصحابة فيها اختلاف ولا يصحّ الجمع بين موالاتهما ولا بدّ من البراءة من أحدهما. فوقع هذا الكلام في كلّ موقع، وعند ذلك تفرّق الناس: فمنهم من طار قلبه إلى أهل البيت وادعوا محبّتهم واعتقدوا بغض الصحابة وشتموهم وظلموهم فأتيتهم من هذا الوجه وقلت: بأهل بيت نبيّكم تمسّكوا، ومنهم من مال إلى الصحابة ودان ببغض أهل القرابة، فكنتم إخواني من هذا القبيل فصوّبتم طلحة والزبير في محاربة عليّ وواليتم معاوية وإن كان حرباً للوصيّ، وملتم إلى يزيد وأتباعه وإن كان قتل الحسين وأشياعه، وقلتم بإمامة المروانيّة مع ما ظهر فيهم. وأمّا الفرقة الثانية فهم الرافضة قالوا: الحقّ لأمير المؤمنين غصبه أبو بكر باتّفاق الصحابة[1]، وأنّهم كفروا بدفع صاحب الحقّ عن حقّه ووضعه في غير موضعه.

وجاءت المعتزلة فأنكروا القولين وردّوا المذهبين ونقضوا ما بنيا وهدموا ما أسّسا، وقالوا: الحقّ موالاة أهل البيت والصحابة وأنّه لم يكن بينهم خلاف. بل كان بين الكلّ موافقة وائتلاف، ولذلك زوّج عليٌّ - عليه السلام - ابنته

(1) في الدرّ النفيس: بعض الصحابة.

من عمر وبايع أبا بكر يوم البيعة ورضي في الشورى بعثمان، ولذلك أمسك عن القتال وعن سوء المقال، وكان يشاورهم ويشاورونه ويصلّي بصلاتهم حيث يصلّون وما نقض شيئاً من أحكامهم في أيّامه ولا اعترض على أمر من أمورهم، ولذلك أمر عمر عليّاً بغسله ودفنه وبعث إليه عثمان يستنصره ويستسقيه، فكلّ ذلك يدلّ على الموافقة. وذكروا أنّ كلّ واحد من المذهبين غلوّ وتقصير، وأنّ الحقّ في ما بين ذلك وهو الجمع بين موالاتهم.

رووا في فضل أهل البيت آيات وأخباراً وآثاراً، كقوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ﴾[1]، وكقوله في مدحهم في [سورة] هل أتى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾[2] وكقوله: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ راكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ﴾[3] وحزب الله هم أهل بيت رسول الله، وكقوله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ: عليّ منّي وأنا منه[4]، وكقوله: أنت منّي بمنزلة هٰرون من موسىٰ[5]، وكقوله: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه[6]، وكقوله: حبّك إيمان وبغضك

(1) سورة الشورى (42) : 23.
(2) سورة الإنسان (76) : 8.
(3) سورة المائدة (5) : 55 - 56.
(4) مسند أحمد 1 : 98 و145 و164، 5 : 204 و356/ ابن ماجه: 44 (رقم 119)/ الترمذي 9 : 299 - 302 و304 (رقم 3713 ـ 7317 و3721).
(5) أحمد 1 : 170 و177 و179 و181 و184 و185، 3 : 32/ البخاري 2 : 436 و3 : 177/ مسلم: 1871 - 1872 (رقم 2404)/ ابن ماجه: 45 (رقم 121)/ الترمذي 9 : 310 - 311 (رقم 3731 - 3732).
(6) أحمد 1 : 84 وغيره من المولرد الكثيرة (انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 7 : 334)/ مسلم: 1870 - 1871/ ابن ماجه: 45/ الترمذي 9 : 300.

نفاق[1]، وكقوله: هو أخي ووصيّي[2]، وكقوله: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق وهوى[3]، وكقوله: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي[4] وكقول عمر: لولا عليّ لهلك عمر[5]، وكما روي في حديث: أعداء عليّ يمرقون من الدّين ويفارقون جماعة المسلمين[6].

وذكروا في الصحابة أنّهم أنصار الحقّ والذّابّون عن حريم الدّين المجاهدون في سبيل ربّ العالمين، وتلوا: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ...﴾[7]، و ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾[8]، و﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[9]، وكقوله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ: أصحابي كالنّجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم[10]، وكقوله: من أحبّ أبا بكر فقد أقام الدّين، وكقوله في ذمّ الرّافضة ما هو أشهر من الشمس بأنّهم يسبّون الصحابة وأنّه منهم بريء.

---

(1) الترمذي 9 : 303 و313/ مسند الفردوس للديلمي 3 : 65 (بيروت ـ 1406)/ كنز العمّال 12 : 212.

(2) تهذيب الآثار للطبري 4 : 63 (القاهرة ـ 1982)/ كنز العمّال 15 : 100.

(3) مستدرك الحاكم 2 : 343 و3 : 150 - 151/ المعجم الصغير للطبراني 1 : 139 و2 : 22/ تاريخ بغداد 12 : 91/ مجمع الزوائد 9 : 168.

(4) أحمد 3 : 14 و17 و26 و59، 4 : 367/ مسلم: 1873.

(5) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: 162.

(6) رواه الستّة وأحمد في مواضع كثيرة (انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي 6 : 204).

(7) سورة التوبة (9) : 100.

(8) سورة الفتح (48) : 18.

(9) سورة التوبة (9) : 40.

(10) انظر ميزان الاعتدال للذهبي (القاهرة ـ 1382) 1 : 413 و607.

فلما ذكروا هذه الآيات ورووا هذه الآثار واحتجّوا بها ضاق صدري بهم وقلّت حيلتي فيهم، ولولا هؤلاء لتبعني النّاس أجمعون.

وممّا ألقيت إليهم من هذا الباب أنّ الطاعة تجب لكلّ متغلّب ولو كان عبداً حبشيّاً، وأنّه لا يجوز الخروج على أحد وإن كان ظالماً جائراً، ألتمس بذلك إبطال الإمامة والأمر بالمعروف وترك الخروج على الظلمة ليظهر الفساد ويخفى السداد ويندرس الحق. فقبلتم ذلك منّي ورويتم في تأييده الأحاديث وتقرّبتم إلى أئمّة الضلال وإلى الجهّال.

وأنكرت المعتزلة ذلك أشدّ الإنكار، وقالوا بل الطّاعة تجب لكلّ تقيّ معصوم لا يظلم ولا يجور، وأنّ دفع الظلم والظلمة واجب بحسب الإمكان، وتلوا: ﴿وإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾[1] وتلوا: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[2]، ورووا في ذلك آثاراً وأبطلوا بذلك ما أصّلت وأفسدوا ما صحّحت.

فصل

فكرت وقلت: لا أجد أحداً أعظم أثراً في هدم الدّين من معاوية، فإنّه أوّل من خرج على أمير المؤمنين ـ عليه السّلام ـ ثمّ تبعه السفيانيّة والمروانيّة، فهو المؤسّس وهم بنوا وهو مهّد الأمر وعلى طريقته مشوا. فألقيت إليكم أنّه فعل ما فعل باجتهاد وأنّه ما أصاب ولا يجوز لعنه، وأنّه كان إماماً من أئمّة المسلمين، وأنّ لعنه خطأ وأنّه خال المؤمنين وكاتب كلام ربّ العالمين، وأنّ أهل بيته كلّهم أئمّة لا يجوز البراءة منهم بل يجب موالاتهم.

(1) سورة الحجرات (49) : 9.

(2) سورة لقمان (31) : 17.

وأنكرت المعتزلة ذلك أشدّ الإنكار وقالوا: معاوية باغ ضال، فمرّة ضلّلوه لخروجه على إمام المسلمين وقتل عمّار بن ياسر[1] سيّد أصحاب أمير المؤمنين، ومرّة كفّروه بإلحاق زياد[2] بأبيه مع نفي رسول الله عنه إيّاه وادّعاء أبيه وقتل حجر بن عدي[3] صبراً وأمره حتّى سُمَّ الحسن ثمّ تغلّب على الدّنيا فأظهر الظلم والعناد ومذاهب الإلحاد، وقال النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - : معاوية في تابوت من نار[4]، وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه[5]، وقد لعنه أمير المؤمنين في قنوته، وقال النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية»[6] فقتله معاوية. ثمّ جرى على طريقتة السفيانيّة، فقتل يزيد - لعنه الله - حسيناً - عليه السّلام - وشيعته وسبعة عشر من أهل بيته، وسلّط على الناس أهل بيت زياد، ومات سكران. وتبعهما المروانيّة فأظهر الوليد[7] الإلحاد. وقتل هشام[8] زيد بن

---

(1) هو الصحابي الجليل، الّذي استشهد مع أمير المؤمنين بصفّين سنة 37.

(2) هو زياد بن أبيه، ولي العراق لمعاوية وبها مات سنة 53. ولدته سميّة جارية الحارث بن كلدة الثقفي واختلفوا في من هو أبوه، فتبنّاه عبيد الثقفي مولى الحارث بن كلدة، إلى أن ادّعى معاوية أنّه أخوه من أبيه أبي سفيان فألحقه بنسبه في سنة 44. وإلى هذا يشير المؤلّف في المتن.

(3) هو حجر بن عدي بن جبلة الكندي. صحابيّ جليل. سكن الكوفة، وقتل مع أصحابه بأمر معاوية في مرج عذراء من قرى دمشق سنة 51.

(4) نقله الأميني في الغدير 10 : 142 عن كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم وتاريخ الطبري.

(5) الكامل لابن عدي 2 : 569 و627، 6 : 2416/ تاريخ بغداد 12 : 181.

(6) أحمد 2 : 161 وغيره من الموارد (انظر المعجم المفهرس 1 : 203)/ البخاري 1 : 124/ مسلم 4 : 2235/ الترمذي 9 : 349.

(7) أي الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، عاشر الخلفاء الأمويّين، الماضي ذكره.

(8) هو هشام بن عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي. بويع بالخلافة سنة 105، ومات سنة 125.

علي[1] ـ عليه السّلام ـ، ومات مروان الحمار[2] وهو زنديق. وقد قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ: إذا بلغ بنو أبي العاص[3] ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً ودين الله دغلاً[4]. وذكروا أنّ الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو مروان[5]، وأنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ لعنهم[6].

لقيت يوماً معاوية فقلت: أليس جمعني وإيّاك وقومك دار الندوة ونحن ندبّر في أمر محمّد ودينه. قال: نعم. قلت: فلماذا تنصر دينه وتركت دين الآباء وخالفت أولئك الشيوخ الكبار؟ فقال: أنا على رأس أمري أطلب فرصة، وقد فعلت ما فعلت وليس ثَمّ أمر حتّى أردّ الناس إلى دين الآباء. ثمّ ذكر أصحاب القليب وبكى عليهم وأنشد القصيدة الحائيّة الّتي قالها أميّة بن [أبي] الصلت[7] يرثي من أصيب من قريش يوم بدر، وهي:

---

(1) هو زيد بن علي بن الحسين، العلوي الهاشمي. ثار على الأمويّين واستشهد في سنة 122. إليه تنسب الفرقة الزّيديّة.

(2) هو مروان بن محمّد بن مروان، آخر الخلفاء الأمويين بالشام. استولى على الحكم في سنة 127، وقتل في سنة 132.

(3) هو أبو العاص بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، جدّ الخليفة عثمان بن عفّان ومروان بن الحكم رأس الدولة الأمويّة المروانيّة.

(4) مستدرك الحاكم 4 : 479 - 480. وانظر أيضاً مسند أحمد 2 : 80/ مسند أبي يعلى 2/ 384 دلائل النبوّة للبيهقي 6 : 507/ مجمع الزوائد 5 : 241 و243، ففي بعضها «أربعين» بدل «ثلاثين»، و«بنو أميّة» أو «بنو الحكم» أو «بنو أبي فلان» مكان «بنو أبي العاص»، و«دَخَلاً» مكان «دغلاً».

(5) أنظر الدّر المنثور للسيوطي 4 : 191 ومصادره.

(6) أنظر دلائل النبوّة للبيهقي 6 : 509.

(7) هو أميّة بن عبد الله بن أبي ربيعة الثقفي، شاعر جاهلي من أهل الطائف، وبها مات سنة 5 من الهجرة. والشعر في ديوانه المطبوع: 345 - 351.

ألاّ بكيت على الكرا ... م بني الكرام أولى المادح
كبكا الحمام على فرو ... ع الأيك في الغصن الجوانح
يبكين حرّى مستكيـ ... ـنات يرحن مع الروائح
أمثالهنّ الباكيا ... ت المعولات من النوائح
من يبكهم يبكي على ... حزن ويصدق كلّ مادح
ماذا ببدر فالعقنـ ... ـقل من مرازبة جحاجح
شيخ[1] وشبّان بها ... ليل مغاوير وحاوح
أفلا ترون كما أرى ... ولقد تنكّر كلّ واضح
ولقد تغيّر بطن مكّة ... فهي موحشة الأباطح
من كلّ بطريق لبطـ ... ـريق نقيّ اللون واضح
القائلين الفاعليـ ... ـن الآمرين بكلّ صالح
المطعمين الشحم فو ... ق الخبز شحماً كالأنافح
لكرامهم فوق الكرا ... م مزيّة وزن الرواجح
كتثاقل الأرطال بالـ ... ـقسطاس في الأيدي الموائح
خذلتهم فئة وهم ... يحمون عورات الفضائح
الضاربين الأقدميّـ ... ـة[2] بالمهنّدة الصفائح
قتلتهم ألقوا بلاتـ ... ـرة كأضجاع الذبائح[3]

(1) في سيرة ابن هشام 3 : 31 (من طبعة القاهرة ـ 1355) والعقد الفريد 3 : 300 والديوان: 346 (دمشق ـ 1974) وشرحه: 24 (بيروت ـ 1980): شمط، وفي البصائر والذخائر لأبي حيّان (2 : 682): شيب.

(2) في الديوان: التقدمية.

(3) هذا البيت لم يرد في الديوان.

ولــقــد عــنــانــي صــوتــهــم — مــن بــين مــســتــســق وصــائــح
لله درّ بــــنــــي لــــويّ[1] — أيم مــــنــــهــــم ونــــاكــــح
إن لم يــــغــــيــــروا غــــارة — شــعــواء تجــحــر كــلّ نــابــح
بــالمقــربــات المبــعــدا — ت الــطــامــحــات مــع الــطــوامــح
مــرداً عــلــى جــرد إلــى — أســد مــكــالــبــة كــوالــح
حــتّــى يــلاقــي كــلّ قــرن — قــرنــه مــشــي المصــافــح[2]
بــزهــاء ألــف ثــم ألــ — ف بــين ذي بــدن ورامــح

فلمّا فرغ من إنشاد القصيدة تنفّسنا الصعداء وبكينا عليهم وجرى بيننا أحاديث. فإذا معتزليّ قام وقرأ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3] فكأنّه القمهم الحجر. ثمّ قرأ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[4].قلت أخرجوه! فأخرجوه.

فصل

اجتمع يوماً في نادٍ ناس، فجرى ذكر معاوية فمدحه بعض مشايخنا فقال: هو إمام من الأئمّة. فقام معتزلي وقال: أتقول له وقد فعل وفعل ... - يعدّ معائبه ونحن ساكتون ـ، ثمّ أنشأ يقول:

---

(1) في الديوان: بني علي.

(2) في الديوان: ويلاق قرن قرنه مشي المصافح للمصافح.

(3) سورة التوبة (9) : 32.

(4) السورة نفسها: 33.

قالت تحبّ معاوية؟ قلت اسكتي يا زانية
قالت أسأت جوابنا فأعدت قولي ثانية
يا زانية يا زانية يا بنت ألفي زانية
أحبّ من شتم الوصيّ أخا النبيّ علانية؟
فعلى يزيد لعنة وعلى أبيه ثمانية[1]

ثم قال: قيل لأعرابيّ أتحبّ معاوية؟ قال: وجدت معه أربعة إن قلت معها أتحبّه لتكفر، قيل: وما هي؟ قال: قاتل أبوه النبيّ مراراً، وقاتل هو وصيّه، وقتل ابنه يزيد الحسين بن علي، وأخرجت أمّه هند كبد عمّ [النبيّ] حمزة. فقال من حضر: لعن الله معاوية!

حكى معتزلّي أن أبا سفيان[2] جاء إلى عليّ - عليه السّلام - يوم السقيفة وقال: أترضى أن يلي عليك بنو تيم؟ أخرج وحارب! لأملأنّ المدينة [لك] خيلاً ورجلاً. فقال - عليه السّلام - : قد علمت أنّك ما نصحت الاسلام وأهله قطّ[3]! أتأمرني أن أقاتل الصدّيق؟ وحكي أنّه دخل على عثمان يوم

---

(1) الشعر للصّاحب بن عبّاد في الكامل البهائي لعماد الدّين الطبري - من القرن السابع - 2 : 215 (طهران - 1376) وروضات الجنات: 2 : 30 (طهران - 1390)، وهو ساقط من الدّيوان المطبوع والسبب ظاهر. وإنّما أثبتناه أعلاه حفظاً للنصّ، كما احتفظنا على كلّ ما جاء في الكتاب من التهجّم العنيف على الفرق المختلفة بما فيها الإماميّة وأكابرهم.

(2) هو صخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف، والد معاوية رأس الدولة الأمويّة. كان من رؤساء المشركين في حربهم مع الإسلام منذ ظهوره فقاد قريشاً وكنانة يوم أحد ويوم الخندق لقتال رسول الله وأسلم يوم فتح مكّة (سنة 8). مات سنة 31.

(3) تاريخ الطبري 3 : 209.

بويع له وقال: إنّي لأرجو أن يعود ديننا كما عاد ملكنا! فأمر عثمان به فأخرج، وقال: لولا أنّه شيخ خرف لقتلته.

ولمّا قتل عمّار[1] قال عبد الله بن عمر[2]: وقتل عمّار؟ قال معاوية: فماذا نفعل؟ قال: أليس النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ قال [له] «تقتلك الفئة الباغية»؟ قال: نحن ما قتلناه، وإنّما قتله عليٌّ حيث جاء به إلى الحرب[3]! قال: فحمزة قتله النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ حيث جاء به إلى أحد؟

(1) أي عمّار بن ياسر، الصحابيّ الجليل، الماضي ذكره.

(2) هو عبد الله بن عمر بن الخطّاب، صحابيّ فقيه، وهو آخر من توفّي من الصحابة بمكّة في سنة 73.

(3) مسند أحمد 2 : 161/ وقعة صفيّن لنصر بن مزاحم: 343/ تاريخ الطبري 5 : 41/ مستدرك الحاكم 2 : 156.

الباب الحادي عشر

في الآجال والأموال والأرزاق

رأيت من عظيم هذا الباب أمور الدماء والأموال، فوجدت لنفسي المجال. فألقيت إليكم أنّ الحرام والغصوب كلّها أرزاق من غصبها وأكلها، أسهّل عليهم أمور الأموال ليسهل الغصب والظلم. فقبلتم ذلك.

وأنكرت المعتزلة وقالوا: الحرام لا يكون رزقاً، ولذلك مدح الله المنفق من رزقه وذمّ الغاصب على غصبه وأمر السارق بقطع يده وقاطع الطريق بقتله وصلبه، ومن المحال أن يجعله رزقه ثم يعاقبه عليه.

فلما رأى بعض مشايخنا هذا الإلزام قالوا: بأيّ شيء نستريح من هؤلاء المعتزلة؟ فقالوا: الأموال والفروج كلّها على الإباحة، والمنع ذنب، وليس في المظالم عقوبة ولا في الظلم تبعة. فعند ذلك تحيّرت المعتزلة وقالوا: ما نقول لهؤلاء؟ وسمّونا الإباحيّة.

حكى معتزليّ أنّ الصاحب[1] شكي إليه بعض السرّاق فسأله عن حاله، قال: فلمّا بلغنا مكان كذا فإذا قضاء الله وقدره كان بأن يسرق منّا. فقال الصاحب: تمسّك بهذا السارق فأنا لا أقدر على دفعه.

وقيل لمجبر: أليس الله خلق السرقة في السارق وجعل المسروق رزقاً له؟ قال: نعم. قال: فما بال قطع يده ودمه ولعنه؟ فسكت وقال: لا اعتراض على الربّ.

---

(1) يعني ابن عبّاد، الماضي ذكره.

وقيل لصوفيّ: انّ فلاناً يأخذ مالك ويزني بعيالك. قال: لا أمنعه عن شيء يشتهيه، فالمنع والقطع حرام!

وألقيت في الخواطر أنّ المقتول الله قتله وهو متفرّد بالقتل لأنّ المتولّد لا يكون فعل الإنسان، أريد بذلك ابطال القصاص والدّيات وتسهيل القتال. فنمّ لي ذلك فيكم. وأباه المعتزلة أشدّ الإباء وقالوا: هو فعل العبد ولذلك يجب القصاص والدية والكفّارة والتوبة، وقرأوا قوله تعالىٰ: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فيها﴾**[1] ورووا قول النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - : من قتل مؤمناً متعمّداً يجيء يوم القيامة مكتوباً في جبهته آيس من رحمة الله[2].

وألقيت أنّ المقتول لو لم يقتل لمات، أريد بذلك أنّه قتل لأَجَله دفعاً للذنب عن القاتل. فقبلتم ذلك وأنكرت المعتزلة وقالوا: لو لم يقتل كان يجوز أن يعيش ويبقى، لأنّه تعالى قادر على أن يبقيه ويميته، فما معنى القطع لأحد الأمرين؟

وسأل عدليّ مجبراً عن قتل الأنبياء أكان خلق الله أم لا؟ فقال: بل خلق الله. قال: فما معنى ذمّ اليهود بأنّهم يقتلون النبيّين بغير حقّ[3] وهو القاتل؟ فسكت.

ووجدت الشريعة وردت بالقصاص والعقوبة في العمد والدية والكفّارة في الخطأ، فألقيت أنّ القتل ليس فعل العبد إذ هو الجراحات تفرّد الله بفعلها - أروم إبطال ما وردت به الشريعة - وأيّ معنى للفرق والخطأ لا يجوز

---

(1) سورة النساء (4) : 93.

(2) أنظر عقاب الأعمال للصدوق: 326 (طهران - 1391)/ بحار الأنوار 101: 383.

(3) جاء ذلك في القرآن الكريم في سورة البقرة (2): 61، وسورة آل عمران (3) : 21.

على الله تعالى؟ إذ لو رفعت القصاص أصلاً لما قبل منّي. فقبلتم ذلك وأباه المعتزلة.

قال عدليّ لمجبر: أليس عندكم [أنّه] إذا لم يخلق الله تعالى القتل لا يكون في العالم قتل؟ قال: نعم. قال: ولو خلق كان وإن أوجب القصاص؟ قال: نعم. قال: فما معنى قوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[1]؟ فانقطع.

---

(1) سورة البقرة (2) : 179.

الباب الثاني عشر

في جزاء الأعمال والوعيد

قلت عمدة هذا الباب الإقدام على الطاعات واجتناب الخطيئات، وعلمت أنّي إن نهيتهم عن الطاعات وأمرتهم بالمعاصي كان صريح مخالفة الشرع ولا يروج ذلك. فألقيت أن لا جزاء على واحد، وأنّ الطاعة لا يستحقّ بها الثواب والمعاصي لا يستحقّ بها العقاب، ويجوز أن يدخل الله فرعون وسائر الكفّار دار القرار والأنبياء دار البوار، أنفر الناس عن الطاعات وأجرئهم على المعاصي. فقبلتم ذلك وقلتم: ديننا ودين آبائنا، مرحباً بالاتّفاق!

وأنكرت المعتزلة ذلك أشدّ الانكار وقالوا: في هذا هدم الدّين ومخالفة كتاب ربّ العالمين في قوله: ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، ولو كان الأمر كما زعمتم فما معنى الحساب والجزاء؟ وما معنى الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية؟ وتلوا: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأَنْهارُ﴾[2]، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها﴾[3]، ونحو ذلك من الآيات.

وألقيت اليهم ـ حثّاً على المعاصي وجرأة وتثبيطاً عن الطاعة ـ أنّ يوم القيامة يحمل ذنوب أهل الإسلام على اليهود والنصارى، ويدفع إليهم طاعة

---

(1) سورة السجدة (32) : 17.

(2) سورة النساء (4) : 13.

(3) السورة نفسها: 14.

الملائكة. فوافقتموني وأظهرتم ذلك وتأوّلتم الآثار عليه وقررتم عيني وطيّبتم نفسي ورعيتم حقّ الموافقة بيني وبينكم.

وقامت المعتزلة بالإنكار وتلوا: ﴿مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أساء فَعَلَيها﴾[1]، و﴿وَلاَ تَزِر وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخرَىٰ﴾[2]، ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلاْنْسانِ إِلاّ ما سَعىٰ﴾[3] ونحو ذلك، وضلّلوا من روى ذلك ودان به. فضاق قلبي بمخالفتهم وزادت العداوة بيني وبينهم.

فألقيت إليكم أنّ الأطفال يعذّبون بذنوب الآباء، غرضي بذلك إظهار القول بجواز العقوبة من غير ذنب. فقبلتم، وخالفت المعتزلة وقالوا: أطفال المسلمين مع آبائهم في الجنّة لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمانٍ أَلْحَقْنا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[4]، وأطفال الكفّار خدم أهل الجنّة كما وردت به السنّة.

وذكر شيخنا أبو الحسن[5] أنّه يجوز أن يعذّب الله الأنبياء والأبرار ويثيب الفراعنة، ويكون عدلاً منه. فسرّني قوله وقلت: مرحباً به وبقوله!

وأنكرت المعتزلة ذلك وتلوا الآيات وقالوا: هذا لا يفعله لأنّه أخبر أنّه لا يفعله، وقالوا: إذا! جاز له خلف الوعد فما الأمان؟

قصّ مجبر فقال: يوم القيامة يغفر لجميع مذنبي أمّة محمّد ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ ثمّ ينادى: يا عبادي! أبمثل هذا أتيتموني؟ إن كان

---

(1) سورة فصّلت (41) : 46.

(2) سورة الأنعام (6) : 164.

(3) سورة النجم (53) : 39.

(4) سورة الطور (52) : 21.

(5) يعني الأشعري، رئيس المذهب، الماضي ذكره.

لكم غناء عن الطاعة، فما بالكم لم تأتوني بالمعاصي لأغفر لكم؟ قال معتزليّ: هذا إغراء بالمعاصي. فقال: رغماً لكم!

ويحكى أنّ مجبراً حضرته الوفاة وعليه ديون جمّة، فجمع أولاده وقال لهم: قد علمت أنّي من إحدى القبضتين فاحتفظوا بمالكم ولا تقضوا عنّي شيئاً من ديوني، فإنّي إن كنت من أهل الجنّة لا يضرّني شيء، وإن كنت من أهل النّار لا ينفعني شيء[1]. فقال معتزليّ: هذا اعتقاد جميعكم؟ قالوا: نعم. قال: بئس الاعتقاد وبئس الزاد ليوم المعاد.

وسأل عدليّ مجبراً ـ يسمّى عبد الله بن داود[2] ـ قال: أليس عندكم أنّ العبد أتى في كفره من قبل الله، وأطفال المشركين يعذّبون بذنوب آبائهم؟ قال: بلى. قال: أفكلّكم يقول هذا؟ قال: نعم. قال: فبأيّ ذنبٍ هذا ولا ذنب من قبله؟ تبّاً لكم! ما تقول في مشرك ولد له إبن ومات الإبن ثمّ أسلم المشرك، كيف حاله؟ قال: المشرك الّذي أسلم في الجنة وطفله في النّار. قال: تبّاً لهذا القول، أليس بذنب أبيه أخذ؟ فما باله غفر له ولم يغفر لولده؟

قال عدليّ لمجبر: أليس عندكم يحمل ذنوب المسلمين على الكفّار؟ قال: نعم. قال: فالمعاصي أنفع وأحسن لأنّه يحمل على الكفّار فيغمّهم! وقال: إذاً يحمل عليه ذنبه لأنّه خلقه؟ قال: نعم!

---

(1) نقله البياضي في الصراط المستقيم 3 : 60.

(2) مرّ ذكره في الباب الثالث.

الباب الثالث عشر

في ذكر السلف

اجتمعت أنا وجماعة من مشايخنا مع المعتزلة، فجرى ذكر المذاهب، فذكر معتزلي أنّ لهم من الإسناد في المذهب ما ليس لأحد من فرق الأمّة، فإنّ إسنادهم يتّصل بواصل[1] وعمرو[2]، وهما أخذا من محمّد ابن الحنفيّة[3] عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عن النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - فهل لأحد سلف كسلفنا أو خلف كخلفنا؟ وانّ مذهبنا هاشميّ ومذهب الجبر أمويّ، وأنّا سُمّينا بالموحّدة العدليّة ولُقّبنا بالمعتزلة كما لقّب إبراهيم - عليه السّلام - حين قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾[4]، وعن النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - قال: من اعتزل الشرّ سقط في الخير[5]. وما ورد اسم الاعتزال إلاّ في الاعتزال عن الشرّ، فلما اعتزلنا جميع البدع والضلالة ولزمنا الطريقة المستقيمة لُقّبنا بذلك. والحمد لله الّذي هدانا لهذا وعصمنا في ديننا ودنيانا.

---

(1) أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزّال، رأس المعتزلة ومن أئمّة البلغاء والمتكلّمين. ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة وكان من أصحاب الحسن البصري فاعتزله وتبعه جماعة سمّوا بالمعتزلة لاعتزالهم الحسن كما قيل. توفّي سنة 131.

(2) أي عمرو بن عبيد البصري الماضي ذكره.

(3) أبو القاسم محمّد بن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب المعروف بابن الحنفيّة نسبة إلى أمّه خولة بنت جعفر الحنفيّة، كان سيّداً ورعاً ودعا المختار الثقفي النّاس إلى إمامته. توفّي سنة 81.

(4) سورة مريم (19) : 48.

(5) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: 166.

ثم قال: يا معشر المجبرة! عدّوا رجالكم ونعدّ وشمّروا للقول ونستعدّ. فأخذني ما قرب وما بعد، وقلت: أجيبوا ابن الفاعلة! فمن هو ومن سلفه وخلفه حتى يفتخر علينا ويتطاول هذا التطاول؟ فقيل له: ومن سلفكم ومن خلفكم بل السلف لنا والخلف منّا! فقال المعتزلي: عدّوا ونعدّ:

- أمّا سلفنا فأولّهم الملائكة الأبرار المقرّبون، ﴿لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾(1)، ﴿بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وما خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(2). ألا ترى كيف أضافوا الذنب إلى العباد فقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾(3). ثمّ من بعدهم الأنبياء المرسلون. ألا ترى أنّ آدم ـ عليه السّلام ـ كيف أضاف الظلم إلى نفسه فقال: ﴿رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَتَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾(4). فقلت: إنّما قال رغماً لي حيث قلت: ﴿رَبِّ بِما أَغْوَيْتَنِي﴾(5). فقال: كذبت يا ملعون! لو كذب لأنكر عليه كما أنكر عليك.

ثمّ قال: ومن سلفنا يوسف ـ عليه السّلام ـ حيث قال: ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾(6). فقلت: على الخبير سقطت! حضرت المجلس الّذي حضره يوسف وإخوته وهو يوبّخهم وهم يعتذرون

(1) سورة التحريم (66) : 6.
(2) سورة الأنبياء (21) : 28.
(3) سورة البقرة (2) : 30.
(4) سورة الأعراف (7) : 23.
(5) سورة الحجر (15) : 39.
(6) سورة يوسف (12) : 100.

فقلت ـ ومعي جماعة من أصحابي وأتباعي من مشايخ المجبرة ـ: ما هذا الاعتذار؟ وإلى كم هذا السكوت؟ أليس كان هذا الإيقاع خلق الله فيهم وكانوا لا يقدرون على تركه فما ذنبهم؟ فصاح مشايخنا: أحسنت والله أنت! وأخذ يوسف يلعنني ويورّكني الذّنب ويقول: ﴿نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾. فقال المعتزليّ كذبت وصدق يوسف.

ثمّ قال: ومن سلفنا موسى ـ عليه السّلام ـ حيث قال: ﴿ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾[1] وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾[2]. قلت: أمّا هذا فكان معتزليّاً صلباً ولقيت منه جهداً عظيماً ولم تنفذ لي فيه حيلة.

قال: ومن سلفنا أيّوب ـ عليه السّلام ـ حيث قال ﴿مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾[3]، ويونس ـ عليه السّلام ـ حيث قال: ﴿ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[4]، وسائر الأنبياء حيث دعوا إلى توحيد الله ونهوا عن مخالفة أمر الله ولم يعذروا أحداً ولم يضيفوا الذّنب إلى الله.

قال: ومن سلفنا الخلفاء الأربعة وسائر المهاجرين والأنصار. وخطب عليّ ـ عليه السّلام ـ مشحونة بالعدل والتوحيد. ثمّ من التابعين كالحسن[5] وقتادة[6] بالبصرة، وأصحاب عليّ ـ عليه السّلام ـ وعبد الله[7] بالكوفة،

(1) سورة القصص (28) : 15.
(2) السورة نفسها: 16.
(3) سورة ص (38) : 41.
(4) سورة الأنبياء (21) : 87.
(5) هو الحسن بن يسار البصري، من فقهاء التابعين ومن مشاهير الزهّاد، توفّي سنة 110.
(6) مضى ذكره في الباب الثاني.
(7) أي عبد الله بن مسعود الهذلي الصحابي، المتوفّى سنة 32.

ومكحول[1] وغيلان[2] بالشام، وأهل الحرمين بالحجاز. ومن سلفنا أولاد رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ من ولد الحسن والحسين. ومن سلفنا شيوخنا المتكلّمون كأبي الهذيل[3] وبشر[4] والنظّام[5] وأبي موسى[6] وغيرهم، ومن الفقهاء كأبي شجاع وزفر[7] ومحمّد بن الحسن[8] والشافعي[9] وأمثالهم، ومن الخلفاء كالمأمون والمعتصم[10] والواثق. ومن خلفنا كأبي علي[11] وأبي هاشم[12] وأبي عبد ـ الله[13] وقاضي القضاة[14] والسادات من العلويّة وفي عدّ جماعتهم تطويل. فهذا ما عندنا فهاتوا ما عندكم.

فقال رجل من المجبرة: بلى سلفنا أهل السنّة.

---

(1) هو أبو عبد الله مكحول بن شهرب الهذلي الشامي، فقيه الشام في عصره. توفّي سنة 112.

(2) و(3) و(4) و(5) و(6) مضى ذكرهم.

(7) هو أبو الهذيل زفر بن الهذيل العنبري الأصبهاني، الفقيه، من أصحاب أبي حنيفة. ولي قضاء البصرة وبها توفّي سنة 158.

(8) هو محمّد بن الحسن الشيباني الكوفي، الفقيه، من أصحاب أبي حنيفة. ولي قضاء الرقّة وتوفّي بالريّ سنة 189.

(9) هو محمّد بن ادريس المطلّبي. إمام المذهب. المتوفّى سنة 204.

(10) هو محمّد بن هارون الرشيد، ثامن الخلفاء العباسيّين. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة 218. ومات سنة 228.

(11) هو محمّد بن عبد الوهّاب الجبائي، من أئمّة المعتزلة. توفّي سنة 303.

(12) هو عبد السّلام بن محمّد الجُبّائي، من شيوخ المعتزلة، وإليه تنسب الفرقة البهشميّة منهم. مات سنة 321.

(13) هو الحسين بن علي بن إبراهيم الكاغذي البصري الملقّب بالجعل، من كبار المعتزلة. توفّي سنة 369.

(14) هو القاضي عبد الجبّار بن أحمد الأسد آبادي الهمداني، شيخ المعتزلة في عصره. ولي قضاء الريّ وبها مات سنة 415.

فوثب المعتزليّ وقال: أسكت! أعدُّ رجالك. أولّهم الشيخ النجدي[1] الّذي ورّك الذنب على ربّه[2]، والثّاني مشركو قريش أحالوا الشّرك على مشيّته[3]، ثمّ معاوية ويزيد وبنو سفيان، ثمّ من بعدهم بنو مروان الشجرة الملعونة في القرآن، وإن شئت من المتكلّمين فخذ إليك حفص القرد[4] وبرغوث[5] وضرار[6] ويحيى بن كامل[7] والقلانسي[8] ومن الخلف ابن كلاب[9] وابن أبي بشر[10] وابن كرّام[11]. فهل يقابل هؤلاء بأولئك السادات؟ وأنشد:

من تلق منهم تقل لاقيت سيّدهم
مثل النجوم الّتي يسري بها الساري[12]

---

(1) يعني الشّيطان.

(2) إشارة إلى ما حكاه تعالى عن الشيطان في سورة الأعراف (7) : 15 ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ وسورة الحجر (15) : 39 ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾.

(3) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأنعام (6) : 148 ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا﴾.

(4) مضى ذكره في الباب الثالث.

(5) هو محمّد بن عيسى برغوث. عدّه الشهرستاني في عداد المجبرة وقال انّ مذهبه قريب من مذهب الحسين بن محمّد النجّار (الملل: 141. راجع أيضاً قسم المعتزلة من مقالات الإسلاميّين لأبي القاسم البلخي: 75 وكتاب الشافي لعبد الله بن حمزة 1 : 134).

(6) هو ضرار بن عمرو الغطفاني. كان من المعتزلة ثمّ خالفهم وكتب في الردّ عليهم. مات في أواخر المائة الثانية.

(7) مضى ذكره في الباب السادس.

(8) في الأصل: القلاني. وهو أبو العبّاس القلانسي، الماضي ذكره.

(9) هو عبد الله بن محمّد بن كلاب القطّان، الماضي ذكره.

(10) هو أبو الحسن الأشعري، رئيس المذهب، الماضي ذكره. وكان يلقّب بابن أبي بشر كما في الفهرست لابن النديم: 181 (من طبعة فلوجل).

(11) هو محمّد بن كرّام، رئيس الكرّامية، الماضي ذكره.

(12) يروى البيت للعرندس في أمالي القالي 1 : 239 ومعجم الشعراء للمرزباني: 306 وزهر

فقام معتزليّ من الجنّ وقال: أمّا سلفنا فحضروا رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ وأخذوا منه دين الله ولم يضيفوا ذنباً إلى الله، بل ردّوا على المجبرة قولهم حيث قالوا: ﴿**وَأَنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا عَلَى اللهِ شَطَطاً وَأَنّا ظَنَنّا أَنْ لن تَقُولَ الإنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً**﴾[1]. ثمّ أخذ يطري مذهبه ويزري بمذهبنا. فقلت لمشايخنا: أما فيكم مجيب؟ أما فيكم معين؟ أما أحدٌ يقوم مقاماً فيذبّ عن مذهبه؟ فما أحار أحدٌ جواباً.

فقرأ قارىء: ﴿**سَيَقُولُ الَّذينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا**﴾[2]. فقال بعض مشايخنا: من هؤلاء الّذين قالوا بمقالتنا وأضيف إليهم الشرك؟ فقال المعتزلي: أولئك كفّار قريش، أعداء رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ ومنكرو دين الله. فغضبت وقلت: أولئك الملأ من قريش.

بدور الدجى وشموس الضحى   أسود الوغى وبحور الندى

كم من مجلس جمعني وإيّاهم، وكم من تدبير جرى بيني وبينهم. كانوا كما قيل:

وسادة عاشرتهم لم أزل   في ظلّ عيش لهم راغداً

وكان أخصّ القوم بي أبو الحكم[3]، سيّد من أخلصني ودّه وخير من أخلصته ودّي. ومشايخي حولي يبكون والمعتزلة يسخرون ويلعنون!

الآداب للحصري 2 : 958 وغيرها، ولعبيد ابن العرندس في الكامل للمبرّد 1: 78 (القاهرة ـ 1376) والتنبيه لأبي عبيد البكري: 73، ولزهير في قواعد الشعر لثعلب: 47 (القاهرة ـ 1966).

(1) سورة الجنّ (72) : 4 - 5.

(2) سورة الأنعام (6) : 148.

(3) يعني أبا جهل ـ عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أشدّ الناس عداوة للنبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ والّذي قتل في غزوة بدر (سنة 2).

الباب الرابع عشر

في المقامات والحكايات

اجتمعت أنا وجماعة من مشايخنا من الجنّ في مجلس معتزليّ من الجنّ عقد مجلساً في يوم عاشوراء، فذكر الحسين وقتله فأبكى وبكى. ثمّ قال: لعن الله الآمر والباعث والحاشر والمباشر والمزيّن والذابّ. وارتفعت الضجّة بآمين ربّ العالمين! فقلت: من هؤلاء الّذين لعنتهم؟ قال: أمّا الآمر فيزيد اللّعين[1]، وأمّا الباعث فابن زياد الخبيث[2]، وأمّا الحاشر فالّذي جمع الجنود وذهب بهم عمر بن سعد[3]، وأمّا المباشر فشمر[4]، وأمّا المزيّن فأنت وأتباعك من الشّياطين[5] وأمّا الذابّ فالمجبرة حيث ذبّوا عن هؤلاء؟ واعتذروا لهم وحملوا الذّنب على الله تعالى. وأخذ يلعنني.

فقال أصحابنا: أتنظرون وهذا الخبيث يواجه شيخكم بمثل هذا الكلام

---

(1) يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ثاني ملوك الدّولة الأمويّة في الشام. ولي الملك بعد أبيه (سنة 60) فبقي فيه أربع سنين وتسعة أشهر إلاّ أيّاماً، ومات سنة 64.

(2) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه، أمير البصرة في عهد معاوية ويزيد، وهو الّذي سيّر الجيش لقتال سيّدنا الحسين ـ عليه السّلام ـ . قتل في من قتل من قتلة الحسين سنة 67.

(3) هو عمر بن سعد بن أبي وقّاص، أمير الجيش الّذي قاتل سيّدنا الحسين ـ عليه السّلام ـ قتل في سنة 66.

(4) هو شمر بن ذي الجوشن الضبابي الكلابي، قاتل سيّدنا الحسين ـ عليه السّلام ـ قتل في سنة 66.

(5) إشارة إلى قوله تعالىٰ في مواضع عديدة (كسورة الأنفال (8) : 48): ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾.

واللعن؟ أما فيكم ذابّ؟ أما فيكم دافع؟ فقام واحد من مجبرة الجنّ وقال: كذبت يا بن الفاعلة! أنت وأصحابك من المعتزلة، لا ذنب لواحد من هذه الفئة، أليس خلق الله الأمر في يزيد والبعثة في ابن زياد والحشر في ابن سعد والقتل في شمر والتزيين في الشّيطان والذبّ عنهم في هؤلاء المشايخ؟

فقال المعتزلي: كذبت أنت على الله والله منه بريء، والذنب لهؤلاء الملاعين لا لربّ العالمين! فكان يقول هذا له: كذبت! ويقول هو لهذا: كذبت! فقال المعتزلي: هب أنّا كذبنا، فالكذب على ابن زياد خيرٌ من الكذب على ربّ العباد. فقلت: ما الّذي حملك يا معتزلي على ما واجهتني به؟ فقال: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدى﴾ ـ الآية[1]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ميثاقَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾[2]. وارتفعت الضجّة، وأنشأ يقول:

سيعلمون إذا الميزان بينهم ... أهم جنوها أم الرّحمن جانيها[3]

وكثر المقال، وأدّى ذلك إلى القتال، وتفرّقنا ونحن على أسوأ حال!

حكاية ـ عقد شيخ من مشايخ المجبرة من الجنّ مجلساً فحضرته، فقرأ قارىء: ﴿وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[4]، فقال قاصّ: المعنيّ بهذه الآية هم المعتزلة، لأنّهم آمنوا بالله ثمّ أشركوا حيث جعلوا للعباد

---

(1) سورة البقرة (2) : 159.

(2) سورة آل عمران (3) : 187.

(3) البيت لعمرو بن فائد المعتزلي، الماضي ذكره، على ما في المنية والأمل لابن المرتضى: 159 (بيروت ـ 1979)، وفيه وفي غيره من المصادر (كمتشابه القرآن لابن شهر آشوب: 120): «إذا الميزان شال بهم».

(4) سورة يوسف (12) : 106.

فعلاً كما أثبتوا له فعلاً، وأثبتوا لهم إرادةً كما أثبتوا له إرادة. فقام معتزليّ من غمار النّاس فقال: كذبت! بل المعنيّ بذلك المجبرة القدريّة الّذين كذبوا على الله ووصفوه بما لا يليق به وأشركوا معه في صفاته ونقضوا جملة ما أقرّوا به. قلت له: ولِمَ قلت ذلك؟ بيّن دعواك ببرهان. فالتفت إليّ وقال: نعم! من وجوه جمّة وضروب كثيرة، فإنّهم ما أقرّوا بجملة إلاّ ونقضوها بالتفصيل، وما اعترفوا بأمر إلاّ أبطلوه عند التحصيل، فخذ إليك مسألة مسألة:

أوّلاً قالوا: إنّه واحد، ثمّ أثبتوا معه قدماء أشركوهم معه في القدم، فنقضوا الأوّل والتحقوا بالثنويّة.

وقالوا: ليس له مثل وشبه، ثمّ قالوا له وجه ويد وجنب وساق، فنقضوا ما أسّسوا.

وقالوا: لا يشبهه شيء وليس له كيف، ثمّ قالوا يرى كما يرى المحدثات، ورووا أنّه يرى كما يُرى القمر ليلة البدر، وهل تشبيه أعظم من هذا؟

وقالوا: إنّه صادق، ثمّ قالوا كلّ كذب منه وانّه يجوز أن يخلف وعيده.

وقالوا: إنّه حكيم، ثمّ قالوا كلّ سفه وقبيح فمن قبله ومن خلقه وإرادته وقضائه وقدره.

وقالوا: إنّه عدل، ثمّ قالوا يعذّب من غير ذنب ويأخذ واحداً بذنب آخر بل يخلق للنار ويعاقب من غير جرم ويعذّب على ما خلقه فيهم وأراده منهم.

وقالوا: الطاعة واجبة والمعصية حرام، ثمّ قالوا لا جزاء على واحد منهما.

وقالوا: الوعد والوعيد حقّ، ثمّ قالوا يجوز أن يعذّب البررة ويثيب الفجرة ويدخل الأنبياء النار والفراعنة دار القرار.

وقالوا: الأنبياء حجج الله ورسله، ثمّ قالوا يجوز عليهم الكذب والكبائر.

فما أتوا بجملة إلاّ نقضوها ولا كلمة إلاّ أبطلوها. ثمّ قالوا: الفعل خلق لله وكسب للعبد، ولا يصحّ حصول الكسب إلاّ بخلق الله ولا خلق لله آلاّ بكسب العبد، وهذا عين الشرك كمالكين لا يمكن لأحدهما التصرّف إلاّ مع الآخر ووصيين ووكيلين.

فأمّا نحن فنقول: إنّه تعالى القادر على ما لا يتناهى من أجناس المقدورات، فإذا أقدر عبده على شيء قدر وإلاّ فلا، فمثلنا معه كمثل ملك وسائس له إن أعطاه شيئاً أخذه وإلاّ فلا، فهل يقال إنّه شريكه في ملكه بذلك؟ ثمّ ما قرّرنا أصلاً إلاّ وافقناه بين جمله وتفصيله، ما نقض كلامنا بعضه ولا أبطل بعض أصولنا بعضاً. فنحن المؤمنون حقّاً وأنتم كما قال الله تعالى: ﴿وَما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُشْرِكُونَ﴾[1]. فما أحار أحدٌ جواباً.

حكاية - جرى يوماً حديث بدر، فقلت: أنا شاهدتها وحضرتها مع الملأ من قريش أشجّعهم وأمنّيهم وأنصرهم بجنودي من الشياطين، فلمّا رأيت الملائكة تنزل من السّماء علمت أن لا طاقة لنا، فهربت وأنشدت:

وكتيبة لبّستها بكتيبة
حتّى إذا التبست نفضت لها يدي[2]

فقال بعض المعتزلة: فبذلك نزل: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أَعْمالَهُمْ

(1) سورة يوسف (12): 106.

(2) البيت لحيّان بن الحكم الفزار السلمي في الحماسة لأبي تمام 1 : 110 (من طبعة الرياض - 1402)، والعقد الفريد 1 : 139، والحيوان 5 : 185، وعيون الأخبار 1 : 164 وغيرها.

وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾[1]. لا جرم فيك ومن اتّبعك نزل: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾[2]. وجرت بين المعتزلة والمجبرة مناظرات فكنتم الذابّين عنّي، فشكرت لكم ذلك.

ثمّ جرى حديث أحد فقلت: حضرتها مع شيخنا أبي سفيان وامرأته هند وابنه معاوية وجماعة جنوده، وكنت أفعل الأفاعيل حتّى جرى ما جرى وناديت: ألا قتل محمّد! حتّى انهزم النّاس. فلمّا أمدّ بالملائكة وتراجع الناس صعدت مع شيخنا أبي سفيان الجبل وصحنا: أعل هبل، يومٌ بيوم بدر. فقام عمر وقال: بعداً لكم، الله أعلى وأجلّ ولا سواء، قتلانا في الجنّة وقتلاكم في النّار. وقصدني فعلمت أنّه لا طاقة لي به فهربت، وكنت لا أفرّ من أحد فراري من عمر، وأنشدت:

ولـقـد أجـمـع رجـلـيّ بـهـا حـذر الموت وإنّـي لـفـرور[3]

حكاية ـ اجتمعت في نادٍ مع جماعة من الجنّ، فقال بعض مجبرة الجنّ: أستغفر الله من ذنوبي! فقال معتزليّ من الجنّ: تستغفر من ذنب جنيته أو ذنب لم تجنه؟ وأيّ فرق بينك وبين من قال: أستغفر الله من سوادي وبياضي، وهي عندك جميعاً من خلقه؟ فانقطع.

فقرأ قارىء: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[4]. فقلت: من هذا الّذي لا سلطان لي عليه؟ فقال عدليّ: من لا يتّبعك ولا يلتفت إلى

(1) سورة الأنفال (8) : 48.
(2) سورة الحشر (59) : 17.
(3) البيت لعمرو بن معد يكرب، وهو في ديوانه المطبوع: 102.
(4) سورة الحجر (15) : 42.

كلامك ولا يوافقك في عقيدتك، بل يلعنك ويعاديك ويلعن أتباعك وأشياعك، وينزّه الله ويقول بالتّوحيد والعدل. قلت: من أنت؟ قال: أنا العدليّ الموحّد لربّه المعترف على نفسه بذنبه. ثم أنشد:

قال فما اخترت من دين تفوز به
فقلت إنّي شيعيٌّ ومعتزلي[1]

وأنشد:

إذا بعثت لقيت الله مبتهلا معي إمامان من عدل وتوحيد
هذان أصلان ضلّ الناس بينهما إلاّ المجرّد فيه أيّ تجريد[2]

وجرى ذكر السجود لآدم، فأخذ المعتزلة يلعنونني ويسبّونني. فقلت: أما من ذاب؟ فقالت المجبرة: إلى متى هذا اللوم؟ لو خلّي الشيخ لسجد ولكن منع. فقال معتزلي: تبّاً لكم، أتذبّون عن الشيطان وتكذبون على الرّحمن؟ وارتفعت الأصوات وكثرت المباهلة بين الفريقين وتفرّقوا، والمعتزليّ ينشد:

الله يعلم أنّا لا نحبّكم ولا نلومكم أن لا تحبّونا

(1) البيت للصاحب بن عبّاد، وهو في ديوانه: 39.

(2) في اليمنيّة: وله أيضاً من شعره، فالبيتان للصاحب وإن لم يردا في ديوانه، كما لم ترد فيه الأبيات الثلاثة التي رواها له ابن فندق في كتابه تاريخ بيهق: 135ـ في مدح آل محمّد ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ ولا الأبيات الأربعة الّتي رواها له المافروخي (ترجمة محاسن اصفهان للآوي: 14، والأبيات ساقطة من الأصل العربي، طبعة طهران ـ 1933) في مدح إصفهان، ولا الأبيات الكثيرة الّتي رواها له ابن شهر آشوب في كتابه متشابه القرآن: 61، 93، 117، 121، 123، 142، 146 و167 في دعم أصول العدليّة وردّ المجبرة، ولا الأبيات الكثيرة جدّاً المنقولة في محاضرات الراغب، ولا الأبيات الثلاثة الّتي رواها عبد الله بن حمزة في كتابه الشافي 3 : 255، ولا ما في فرائد السمطين للحموي 2 : 12 ومشارق أنوار اليقين للبرسي: 177.

فقلت لمشايخنا: أنتم أصدقائي حقّاً، لولا أنتم لذهب أمري هدراً!

حكاية ـ قلت لأصحابي من مجبرة الجنّ: لا طاقة لنا بهؤلاء المعتزلة، فالصّواب ما فعله قريش بمحمّد ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ وأصحابه في حصار الشعب، فبايعنا أن لا نكلّمهم ولا ندخل عليهم ولا نبايعهم وتحالفنا على ذلك. فقام معتزليّ فقال: أرأيتم لو خلق فيكم كلامنا والدخول علينا ومبايعتنا ومخالطتنا أتقدرون على الامتناع؟ فقلت لأصحابي: اسكتوا ولا تجيبوهم فتفتضحوا فقام يجرّ رداءه وينشد:

وما بقياً عليّ تركتماني ولكن خفتما صرد النّبال[1]

حكاية ـ وقعت مسألة، وهي أنّ واحداً حلف بأنّ ما يملكه من ماله صدقة وما يملكه من عبيده أحرار وما يملكه من نسائه طوالق، ثمّ ندم، فسأل عنها فقهاء المعتزله فقالوا: مالك صدقة وعبيدك أحرار ونساؤك طوالق. فقال شيخ من شيوخ المجبرة: أخطأ الفتوى وما أصابك، لست تملك شيئاً، لأنّك إن قلت أملك مع الله فقد أشركت وإن قلت من دونه كفرت. فقال المعتزليّ: يا أحمق! إنّما يملك ما ملّكه الله ولا يملك شيئاً من دون الله. وضجّ الناس وقالوا للجبريّ: أخطأت! مالك والفتوى؟

حكاية ـ روي عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ أنّه قال: لعن الله المنفّرين ورحم الله المكلّفين. فقال بعضهم تفسيراً للخبر: المنفّر من أيس من رحمة الله، والمكلّف من لا يؤيس عباده من رحمته. فقام معتزليّ وقال: نحن المكلّفون والمجبرة هم المنفّرون، لأنّا نصف الله بكلّ رحمة ورأفة وثناء

(1) البيت لمنازل بن ربيعة، اللعين المنقري كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة: 499 (بتحقيق أحمد محمّد شاكر، القاهرة ـ 1966) ولسان العرب 4 : 236.

حسن وهم يذكرونه بكلّ قبيح وظلم فينفّرون عنه. وارتفعت الضجّة وتفرّقوا.

حكاية ـ قرأ قارىء: ﴿فَفِرّوا إلى الله﴾[1]، فقال معتزلي: على مذهبنا الفرار إليه يجب وعلى مذهب المجبرة الفرار عنه يجب، لأنّ عندنا كلّ خير منه وكلّ شرّ فهو منه بريء، وعند المجبرة كلّ شرّ في العالم فمن جهته فيجب الفرار عنه. فغضبت المجبرة وقالوا: إلى كم هذا الإزراء؟ إمّا أن تجيبوه وإمّا أن تخرجوه! فقام المعتزليّ وقال: تعالوا ننتصف! أصف مذهبي ومذهبكم حتّى يتبيّن أيّنا على الحقّ. ثمّ قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله وأهل بيته وأصحابه، ثمّ ذكّرهم نعم الله تعالى على عباده ديناً ودنياً وحثّهم على شكره ووعظهم وذكّرهم ما مضى من المثلات وما وعد به وأوعد.

ثمّ قال: أيّها الناس! إنّ المجبرة حزب الشيطان وخصماء الرّحمن وشهود الزّور، وأنّ العدليّة حزب الله وأتباع رسول الله وحفّاظ دين الله والذّابّون عن حرم الله، فانّ المجبرة تزعم أنّ كلّ فساد في العالم فمن الله وكلّ شرّ فمن خلقه وقضائه وإرادته ومشيئته، فالتحرّز والفرار منه يجب لأنّ الشرّ منه، والعدليّة تقول كلّ خير ورحمة فمنه فيجب الفرار إليه.

وتفصيل هذه الجملة أنّهم قالوا: خلق الكفر في الكافر ثمّ أمر بقتله، ولولا خلقه لما كان في العالم كفر، وإذا كان ذلك خلقه فما معنى المحاربة والسّلاح؟ أيريد أحدٌ إبطال خلقه أم القتال معه في جعله؟ ثمّ لم يدع مع هذا أن خلق فيهم الكفر، ثمّ أمر بسبيهم وقتلهم، ثمّ أو عدهم عذاب النّار

(1) سورة الذاريات (51) : 50.

خالداً مخلداً. فيحتجّون للكفّار والفجّار ويحملون الذّنب على الملك الجبّار ونحن نقول: هم الفاعلون وهم المذنبون، واستحقّوا نكال الدنيا وعقاب الأخرى بسوء فعالهم ومقالهم.

وقالوا: هو الّذي يجيء بالزّاني إلى دار المزنيّ بها ويخلق فيهما الزّنا، ولولا خلقه لما كان في الدّنيا زنا، فما بال الحيطان والحرّاس يتحرّس من خلقه وقضائه؟ وما معنى النّهى والجلد؟ أيقدرون على الامتناع من حكمه وفعله؟ وكيف يخلق الزّنا ثم يأمر بجلد الزاني ورجمه ويوعد بالعذاب الأبد على فعله؟

وقالوا: ثمّ جاء بالسّارق إلى دورهم وخلق فيه تسنّم قصورهم وأخذ أموالهم لا يقدر على الامتناع، ولولا خلقه لما كان في الدّنيا سرقة، ثمّ أمر بقطعه. أهذا فعل حكيم؟

وقالوا: خلق الغصب في الغاصب ثمّ أمر باسترداده منه، ولولا خلقه لكان الاسترداد مستغنى عنه، ثمّ أخذ في لعنه لِمَ كان؟ ولو لا خلقه لما كان في الدّنيا غصب.

وقالوا: خلق فيه أخذ مال الغير وخلق فيه اليمين الغموس، ثمّ أوعده بأنّها تدع الديار بلاقع وأنّها من الكبائر، ولولا خلقه لما كان في العالم يمين غموس.

وقالوا: يخلق القتل في القاتل ثمّ يأمر بالقصاص، ولولا خلقه لما كان في العالم قتل ولا احتيج إلى القصاص.

وقالوا: خلق الكفر في الكافرِ والشرك في المشرك ثمّ أمر رسوله أن يدعو إلى عبادته، ولولا خلقه لما كان في الدّينا شرك.

وقالوا: لا ضرر ولا ظلم ولا شرّ في العالم إلاّ وهو من خلقه وقضائه وإرادته، فمن كان على هذه الصفة أليس يجب الهرب منه والإعراض عنه؟

وقالوا: ليس للشّيطان في الوسوسة صنع ولا للعباد في الذّنوب فعل بل كلّه من خلقه ومن جهته، فأيّ قوم أشدّ محاربة له وأسوأ ثناءً عليه منهم؟

ثمّ إنّ هؤلاء المجبرة إن أقرّوا به باللسان وحمدوه ظاهراً فقلوبهم منطوية على بغضه، لأنّهم اتّهموه حيث قالوا: لا يأمن أحدٌ شرّه وإن عبده ألف سنة، لعلّه للنّار خلقه وللكفر فطره ويسلبه في آخر عمره الإيمان ويدخله النّيران. فإذا قالوا لعن الله من سرق وزنى وظلم وعتا فإيّاه عنوا وعليه دعوا، لأنّ عندهم أنّ ذلك كلّه منه وهو الّذي أوجده، ثمّ يحتجّون للعصاة بأنّهم من جهته أتوا، ولو قدروا لأطاعوا، وأنّهم للعصيان خلقوا، وأيّ ذنب لإبليس وهو منعه من السجود؟ وأيّ ذنب لفرعون وهو خلق فيه ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأعلَى﴾[1] وكره منه «سبحان ربّيَ الأعلى» وأيّ ذنب لنمرود وهو خلق فيه الكفر والعصيان؟ وأيّ مدح لابراهيم وهو خلق فيه الإيمان؟ ثمّ كذّبوا الرسل حيث جاؤوا يذكّرونهم نعم الله وقالوا: لا نعمة لله عليهم لأنّه خلقهم للكفر والنّار. وكذّبوا الرسل أيضاً حيث دعوهم إلى الإيمان ونهوهم عن الكفر والعصيان والقوم قالوا قلوبنا غلف ولا نقدر على ذلك، والمجبرة تشهد لهم بالصدق ولأقوالهم بالحقّ ردّاً على رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ..

واحتجّوا لابليس بما لم يحتجّ به لنفسه، فإنّه قال: ﴿لا تَلُومُوني وَلُومُوا

---

(1) سورة النازعات (79) : 24.

أَنفُسَكُمْ﴾[1] حيث قبلتم منّي ولم تقبلوا مَن خَلَقكم، وهم يقولون: لا تلوموني ولا تلوموا أنفسكم ولكن لوموا خالقكم حيث خلق في ابليس الوسوسة وخلق فيكم المعصية.

وقالوا: إنّه تعالى يعذّب بغير ذنب ويعاقب بغير جريمة.

ثمّ أضافوا إلى الرّسل كلّ قبيح ووصفوهم بما لا يليق بهم، تنفيراً عنهم وعن طريقتهم.

ثمّ دانوا ببغض أهل بيت نبيّكم واعتقدوا موالاة أعدائهم.

ثمّ أبطلوا الرسل والكتب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بأن قالوا: لا يجدي ذلك شيئاً، إن كان من قبضة أهل النّار فلا ينفعه شيء وإن كان من قبضة أهل الجنّة فلا يضرّه شيء. وقالوا للآمرين بالمعروف: أتنقضون ما خلق الله أم تدفعون ما قدّر الله؟ أم تدعوهم إلى شيء ليس إليهم من ذلك قليل ولا كثير؟ فأيّ قوم أسوأ ثناءً على الله منهم؟ ويقولون: الغوث ممّا فعل بنا ربّنا ونعوذ به ممّا قضى علينا ونسأله البعد عن مشيّته لنا. فتّباً لهم! ضلّوا وأضلّوا.

فانظروا رحمكم الله إلى هذه المذاهب الرديّة ثمّ انظروا إلى مذاهب العدليّة حيث قالوا: إنّه تعالى واحد لا شبه له ولا نظير وانّه هو المتفرّد في ملكه المتوحّد في سلطانه القادر العالم لذاته لا يحتاج إلى علم وقدرة بهما يعلم ويقدر، وإنّه الحيّ السميع البصير لا يحتاج إلى طبيعة بها يحيى ولا سمع ولا بصر به يدرك. ويقولون: إنّه لا يرى ولا يسمع بحواسّ، وليس له مكان، ولا يجوز عليه صفات الأجسام، وانّه عدل في أفعاله صادق في

(1) سورة ابراهيم (14) : 22.

أقواله، لا يفعل القبيح ولا يشاؤه ولا يقضيه بل هو فعل العباد وإنّهم أحدثوه، وانّه كلّفهم رحمةً منه فمن أطاعه أثابه ومن عصاه عاقبه، لا يأخذ أحداً بذنب أحد ولا يعاقب بغير جريمة، وأعطى المقدرة وأزاح العلّة، فمن عصاه فمن قبل نفسه أتي ومن أطاعه فبدلالته وتوفيقه وبهدايته اهتدى. وانّه إذا وعد وأوعد وفى بكلّ ذلك، لا يجوز عليه الخلف، ما يبدّل القول لديه وما هو بظلاّم للعبيد[1]. وإنّه بعث الأنبياء حجّة على خلقه ونزّههم عمّا لا يليق بهم من مخالفته، وأمر بالشرائع مصلحةً لعباده وأقام الأئمّة تطهيراً لبلاده. ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2]. ووصفوه بما وصف به نفسه من الرّأفة والرّحمة، ونزّهوه عما نزّه نفسه عنه من القبائح، وحبّبوه إلى خلقه بذكر نعمه، وشكروه على ما أسدى إليهم من كرمه. فتوازروا في دين الله، وتحابّوا في أمر الله، وذروا هؤلاء المجبرة فإنّهم أعداء الله وأعداء رسوله، ونزل. فتفرّق النّاس وهم يلعنون المجبرة.

سؤال ـ سأل عدليّ مجبراً: أليس بعث الله يحيى إلى قومه؟ قال: بلى. قال: أليس خلق فتكه فيهم؟ قال: بلى. قال: فهل هذا فعل حكيم؟ قال: لا. قال: فلِمَ تقول به؟ قال: دين الآباء.

وسأل آخر: أليس جعل الله الماء رزقاً للعباد؟ قال: بلى. قال: أفيعاقبهم بأخذه؟ قال: لا. قال: أليس على الغصب رزقاً للغاصب؟ قال: بلى. قال: أفيعاقبه عليه؟ قال: نعم. قال: ولِمَ وقد استويا؟ فانقطع.

---

(1) مأخوذ من قوله تعالى في سورة ق (50) : 29 ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾.

(2) سورة الأعراف (7) : 180.

حكاية ـ مات مجبر وكان ناسكاً بالبصرة، فرئي في المنام وقيل له: ما فعل ربّك بك؟ فقال: لا ينفع مع هذا القول عمل.

حكاية ـ حكي عن المبرّد[1] أنّه قال: كان جيراننا بالبصرة كلّهم جبريّة غير رجلين يقولان بالعدل، فسافر أحدهما ومرض الآخر فعُدناه، فقال: رأيت النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ في المنام، وكان صاحبي الغائب معي، فأخذ النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ بيدي وبيده، ثم قال: **﴿فَأَخْرَجْنا مَنْ كانَ فيها مِنَ الْـمُؤْمِنينَ فَمَا وَجَدْنا فيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْـمُسْلِمينَ﴾**[2]. فقلنا خيراً رأيت. فمات من يومه، وصحّ عندنا أنّ صاحبه الغائب مات في ذلك اليوم.

حكاية ـ قال مجبر لعدلي: جئت اليوم دارك فلم أجدك في الدار. قال: أنت جئت أم الله جاء بك؟ قال: بلى جاء بي. قال: أَوَ أعلم أنّي لست في الدار؟ قال: نعم. قال: فإذاً سخر بك!

---

(1) هو أبو العبّاس محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، إمام العربية في زمانه وأحد أئمّة الأدب والأخبار. ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة 286.

(2) سورة الذاريات (51) : 36.

الباب الخامس عشر

في ذكر المذاهب

حضرت مجلساً حضره جماعة من المعتزلة والمجبرة فجرى ذكر المذاهب. فقال رجل من المعتزلة: كلّ مذهب سوى مذهب أهل العدل فباطل مضمحلّ وكلّ كلام سوى كلامهم فهو داحض. فرمقوه بأبصارهم وقالوا: لِمَ قلت ذلك؟ قال: النّحل على ضربين: قوم خارجون عن الإسلام كالدهريّة والثنويّة وعبّاد الأوثان والصابئين واليهود والنصارى والمجوس، فهم خارجون عن الملّة مباثنون للنحلة، أجمعت الأمّة على تكفيرهم ونطق الكتاب والسنّة بتضليلهم. والفرقة الثانية المنتحلون للإسلام المقرّون به الذابّون عنه وهم فرق الخوارج والنجّاريّة والأشعريّة والكرّاميّة والرّافضة، وهم أهل البدع. فلم يبق إلاّ واحد وهم المعتزلة أصل الحقّ والديّن. ولهذا قال النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ: ستفترق أمّتي بضعاً وسبعين فرقة أبرّها وأتقاها الفئة المعتزلة[1]، وقال ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ في الفرقتين الأوليين بعد أن ذكر أهل البدع: الرادّ عليهم كالشّاهر سيفه في سبيل الله[2]. فنحن القائمون بدين الله، الذّابّون عن حريم الله، الحافظون لحدود الله، المجاهدون في سبيل الله، الناصرون لأهل بيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ ، الخارجون مع من خرج من أولاد رسول الله، الرّادّون على من كذب على الله وعلى رسوله ـ صلّى الله عليه وعلى آله

(1) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة: 166.

(2) نقله صدر الدّين الشيرازي في تفسيره 1 : 324 عن الفائق لابن الملاحمي.

وسلّم ـ وأصحابه. أما علمت مشايخنا كيف وقفوا المواقف وكيف ردّوا على أهل الأهواء والضلال. فرحم الله سلفهم وخلفهم وألحقهم بنبيّهم ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ.

فقلت: يا معشر الأصحاب! أما من رادّ؟

فقام شيخ من المجبرة وقال: لِمَ أبطلت هذه المذاهب حتّى صحّحت مذهبك وأطريت طريقك؟ فقال: أبيّن مذهباً مذهباً وما هم فيه من الطّرائق الرديّة والأقوال السيّئة:

أمّا النجارية فإنّ رئيسهم الحسين النجّار، وكان غرضه التلبيس والتدليس ولم يكن يرجع إلى دين. فحدّث أبو العبّاس بن محمّد الهاشمي قال: كان النجّار حائكاً في جوار بيت لنا، وقال: قلت للنجّار ويحك! إنّك قلت في الاستطاعة مقالة لا يقبلها العقل، فقال: إنّي لا أعرف صحّة هذه المقالة ولا فساد قولكم ولكنّي في قولي هذا رأس ومتى صرت إلى قولكم صرت ذنباً فلا أفعل. فانظروا كيف اختار الدّنيا على الآخرة. ومن قول النجّار: انّ معنى قولنا «عالم» أنّه ليس بجاهل فقط، ومعنى قولنا «قادر» أنّه ليس بعاجز، ومعنى قولنا «حيّ» أنّه ليس بميّت، وليس هناك صفات. وهذا خروج من التّوحيد. ومن جهله أنّه قال انّ القرآن مكتوباً جسم ومتلوّاً عرض، وعنده يجوز بقاء الجسم ولا يجوز بقاء العرض، فيلزمه أن يكون القرآن باقياً وغير باق. وقال: الجسم أعراض مجتمعة. ويقول: انّ الله في كلّ مكان بذاته لا بمعنى الحلول والمجاورة، وهذا غير معقول. ويقول: انّه قادر لذاته عالم لذاته مريد لذاته. ثمّ يقول: ما يصحّ أن يعلمه يجب أن يعلمه وما يصحّ أن يكون مقدوراً يجب أن يقدر عليه، ثمّ لا يقول ما يصحّ أن يكون مراداً يجب أن يريده، فقد ناقض. ويقول: الكافر يصحّ منه الإيمان في حال الكفر، وهذا تجويز لاجتماع الضدّين. ويقول: قدرة الإيمان تضادّ قدرة الكفر، فيستحيل

من الكافر الإيمان لوجود قدرة الكفر، فقد ألزم الله المحال. ويقول: النبيّ - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - والمؤمنون لا يستحقّون الثواب دائماً والكفّار لا يستحقّون العقاب دائماً. وهذا خلاف الإجماع والقرآن. وقال من هذا الجنس من المحالات ما يطول به الكتاب. ومن كلامه الّذي لا يعقل القول بالبدل وأنّ قطب الرحى يتحرّك ولا ينتقل.

وأمّا الأشعريّة والكلابيّة فأكثر كلامهم غير معقول. قالوا: هو تعالى عالم بعلم قادر بقدرة لا هو ولا غيره ولا بعضه. وقالوا: هو مستوٍ على العرش بمعنى صفة له تسمّىٰ الاستواء. وقالوا: المسموع ليس بكلامه وإنّما هو صفة تقوم بالذات. وقالوا: يرى الله لا في جهة ولا في كيف. وقالوا: فعل العبد خلق لله كسب للعبد. فإذا سئلوا عن ذلك لم يأتوا بمعقول، وإنّما فعلوا ذلك لأنّ غرضهم كان هدم الدّين. ومن قولهم انّ مع الله قدماء تسعة[1]، وما أطلق أحد قبلهم ذلك.

ولقي بعض النّصارى بعض الأشعريّة فقال: مرحباً بإخواننا! نحن نقول ثالث ثلاثة وأنتم تقولون تاسع تسعة[2]!

وحكى أبو العبّاس البصري[3] قال: دخلنا على نينون[4] النصراني فسألته عن ابن كلاب، قال: رحمه الله، كان يجيء ويجلس إلى تلك الزّاوية - وأشار إلى زاوية من البيعة - وعنّي أخذ هذا القول، ولو عاش لنصّرنا المسلمين.

---

(1) في اليمنيّة: سبعة.

(2) في اليمنيّة: سابع سبعة.

(3) في الفهرست لابن النديم: 180 (من طبعة فلوجل): البغوي، والقصّة مذكورة في هذا المصدر وفي نثر الدّر (7) : 198.

(4) في الفهرست لابن النديم: فثيون، وفي نثر الدّر: فيثون، وفي اليمنيّة: بيثون.

ولما بعث عضد الدّولة[1] الباقلاّني[2] إلى الروم رسولاً قال له: إيّاك مذهبك فإنّهم يلزمونك مذهبهم.

وقال: انّه تعالى يدرك بالحواسّ كلّها، وأنّه أسمع نفسه موسى، والكلابيّة أنكروا ذلك عليه. وزعم أنّ كلامه شيء واحد قائم بذاته لا يسمع ولا يدرك، وأنّ القرآن والتوراة والانجيل ليست بكلام الله، وأنّ هذه الآيات والسور مخلوقة. وزعم أنّه تعالى يرضى بالكفر ويحبّه. وزعم أنّه يكلّف عباده ما لا يطيقون، ولو كلّف العاجز لجاز، ولو كلّف المحال والجمع بين الضدّين لجاز. وزعم أنّه لو عاقب الأنبياء والأبرار وأثاب الفراعنة والكفّار لحسن منه. وجوّز على الله تعالى الألغاز والتعمية ليضلّ عن الدّين. وزعم أنّه لا نعمة لله على الكفّار لأنّه خلقهم للنّار، وردّ بذلك نصّ القرآن في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾[3]. وزعم أنّ القبيح يقبح للنهي والحسن يحسن للأمر، فيلزمه أن لا يحسن من الله شيء. وزعم أنّ أفعاله تعالى لا تكون لغرض. وزعم أنّ ما باين محلّ القدرة فعله تعالى ليس بكسب للعبد. وزعم أنّ الثواب والعقاب ليس بجزاء، ولكن من شاء أثابه ومن شاء عاقبه. وزعم أنّ النبيّ ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ ليس بنبيّ بعد موته. ولقد قيل: أربع لا تعقل: طبع الطبايعيّة، وكسب الأشعريّة، وصفات الكلابيّة، وبدل النجّاريّة[4].

---

(1) هو فنا خسرو بن ركن الدّولة حسن بن بويه الديلمي، كبير الملوك البويهيين. مات في سنة 372.

(2) هو القاضي أبو بكر محمّد بن الطيّب البصري، من كبار المتكلّمين. إليه انتهت الرياسة في مذهب الأشاعرة. توفّي سنة 403.

(3) سورة النحل (16) : 83.

(4) في الفصول المختارة للشيخ المفيد 2 : 115: ثلاثة أشياء لا تعقل إتّحاد النصرانية وكسب =

وحدّثني من أثق به أنّه كان يصلّي بغير طهور، وأنّه مرّ بمسجد والناس يصلّون العصر، فقلت: متى نصلّي؟ فقال: إن كنت تريد صحبتنا فدعنا عن هذه الترّهات! وباع درهماً بدرهمين وشيء مكسورة فقيل له: هذا ربا، فقال: كن خفيف الروح!.

ولقد أقرّ بالإسلام ولكن شرع في إبطاله فصلاً فصلاً، ووافق جماعة من الكفّار في أقوالهم فوافق جماعة من المجوس في أنّ من يقدر على الخير لا يقدر على الشرّ ومن يقدر على الشرّ لا يقدر على الخير. ووافق اليهود في أنّ النبيّ ليس بنبيّ في قبره. وأنّ النسخ لا يجوز لأنّ الكلام شيء واحد فكيف يجوز النّسخ فيه. ووافق النّصارى في قولهم ثالث ثلاثة أقانيم جوهر واحد وقد قال هو ثلاثة أشياء شيء واحد. ووافق الملحدة في أنّ ما يفعله المسلمون من الخير لا جزاء لهم عليه. وخالفته المعتزلة في جميع ذلك ولزموا الطريقة المستقيمة.

وأما الكرّاميّة فحماقاتهم أكثر من أن تحصى، وكان رئيسهم ابن كرّام جاهلاً وأصحابه جهلة. زعموا[1] أنّه تعالى جسم. وقالوا: لا يتناهى من خمس جهات ويتناهى من جهة العرش[2]. وقالوا: انّه تعالى نور مشرق،

= النجّاريّة وأحوال البهشميّة. وفي منهاج السّنة لابن تيميّة (القاهرة - 1962) 1 : 323:

مـمّـا يـقـال ولا حـقـيـقـة تحـتـه   مـعـقـولـة تـدنـو إلـى الأفـهـام
الكـسـب عـنـد الأشعريّ والحال عنـ   ـد الـبـهـشـمـي وطـفـرة الـنـظّـام

(1) مـن هنا إلى آخر البـحث عن الكرامية نقله عبد الله بن حمزة في كتابه الشافي 1 : 133 - 134 بتصرّف قليل وغير منسوب، وورد أيضاً في كتاب شرح عيون المسائل للمؤلّف الحاكم فراجع رسالة فان إس عن الكراميّة: 19 - 29 حيث ترجم النصّ بكامله عن ذلك المصدر، وانظر أيضاً مقاله عن ابن الرّاوندي في الأبحاث 28 : 25.

(2) انظر عنه تبصرة الأدلّة للنسفي 1: 166و 171.

فوافقوا المانويّة والديصانيّة[1] في ذلك. وقالوا: انّه محلّ للحوادث فلا يحدث في العالم حدث إلاّ ويحدث قبله في ذاته شيء. وقالوا: كان الله في ما لم يزل خالقاً رازقاً بخالقوقيّته ورازقوقيّته، وانّه كان فاعلاً لم يزل مثيباً معاقباً مرسلاً للأنبياء. وزعموا أنّه تعالى لم يقدر على خلق العالم قبل وجوده. وقالوا: لله علم وقدرة وحياة وسمع وبصر، وكلّ اسم له فهو معنى غير قديم وهي أعراض قديمة.

وذهب بعضهم إلى أنّ له يَدَيْن لا يوصفان بجسم ولا عرض، وقائله يعرف بالمازلي[2].

وذكر ابن كرّام في كتاب عذاب القبر[3] أنّه تعالى جوهر، وقال: أحديّ الذات وأحديّ الجوهر[4]، فخالف الأمّة بذلك. وجوّز أن يكون لله كيفيّة، وذكر كيفوفيّة الربّ[5]، وهذا يدلّ على جهله.

وذكر في كتابه الملقّب بالتوحيد إن سألك إنسان عن طوله فقل﴿ ذِي الطَّوْلِ لا إِلٰهَ إِلاّ هُوَ﴾[6]! فلم يعرف الفرق بين الطُّوْل والطَّوْل. واستدلّ

---

(1) فرقة من الثنويّة أثبتوا للعالم أصلين نوراً وظلاماً، لكن النور عندهم يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً.

(2) القاضي أبو عمرو المازلي (أو المازني كما في اليمنيّة وفي تبصرة العوامّ وكتاب الشافي لعبد الله بن حمزة)، من مشايخ الكرّامية. كان تلميذاً لعبدان السمرقندي. أنظر عن تبصرة العوامّ: 65 - 66/ الشافي:13/ رسالة فان إس: 29-28 و32.

(3) ذكر الكتاب ونقل عنه عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق (بيروت ـ 1973): 203 و206 والاسفرائيني في التبصير (بيروت ـ 1983): 112 و114 والنسفي في تبصرة الأدلّة 112:1 والشهرستاني في الملل (بيروت ـ 1982): 47 والرازي في تبصرة العوامّ: 67-68.

(4) الفرق بين الفرق: 203/ التبصير: 112/ تبصرة الأدلّة 112:1/ الملل: 47/ تبصرة العوامّ: 70.

(5) الفرق بين الفرق: 207/ التبصير: 114.

(6) سورة غافر (40) : 3.

على أنّ له حدّاً بقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾[1] فقدر أنّ «أحد» مأخوذ من الحدّ. والعجب اتّباع رجل بلغ هذا المبلغ في الجهل.

وكان فيهم رجل يعرف بالشورميني[2]، نقض على أهل النحو قولهم: المبتدأ رفع، وقال ليس كذلك والله يقول: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحاها﴾[3] ونقض على أصحاب الحساب وقال: يقولون ثلاثة ثلاثة تسعة، أخطأوا فثلاثة قلانس في ثلاثة قلانس ستّة!

كان فيهم رجل يعرف بابن المهاجر[4] قال: الاسم هو المسمّى، وكان يقول: الله عرض، وكان يقول: إنّه ليس بقادر والقادر ليس بحيّ والعالم ليس بقادر، وكان يثبت قدماء بعضها إله وبعضها حيّ وبعضها قادر وبعضها عالم.

وكلّهم قالوا إنّ الله مماسّ للعرش[5] [وقيل لهم: لو كان للّه في العرش

---

(1) سورة الاخلاص (112) : 1.

(2) ابراهيم الشورميني. أنظر عنه رسالة فان إس: 23 و72.

(3) سورة الشمس (91) : 1.

(4) ابراهيم بن مهاجر، رئيس فرقة المهاجرية من الكّرامية وتلميذ أبي عمرو المازلي. أنظر الفرق بين الفرق: 204 و212 - 213 (جاء في الموضع الأخير: «وكان في عصرنا شيخ للكرّامية يعرف بابراهيم بن مهاجر اخترع ضلالة لم يسبق إليها فزعم أنّ أسماء الله تعالى كلّها أعراض فيه وكذلك إسم كلّ مسمّى عرض فيه..». ثمّ قال: «ناظرت ابن مهاجر هذا في مجلس ناصر الدّولة أبي الحسن محمّد بن إبراهيم بن سيمجور صاحب جيش السامانيّة في سنة سبعين وثلاث مائة في هذه المسألة وألزمته فيها أن يكون المحدود في الزّنا غير الزّاني والمقطوع في السرقة غير السارق فالتزم ذلك»).
قارن بالتبصير للأسفرائيني: 112/ تبصرة العوامّ: 72/ الشافي لعبد الله بن حمزة 1:143 رسالة فان إس: 25-29 و 72-74-76.

(5) أنظر التبصير للاسفرائيني: 112/ تبصرة الأدّلة للنسفي 1 : 120 و166.

حمارٌ أكان مماسه؟ قالو نعم![1] قالوا: هو في ما لم يزل مريد بإرادة لا حادثة ولا محدثة. وقالوا: القرآن ليس بكلام الله وإنّما هو قول حادث فيه وليس بمحدث، ويفصلون بين الحادث والمحدث، ويقولون: الكلام قدرة على التكلّم والتكليم. وقالوا إنّ أحداً لم يسمع كلام الله، مع قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾[2]. وقالوا إنّ كلامه حالٌ في ذاته لم ينزل به جبريل ـ عليه السّلام ـ . وقالوا: لا يجوز أن يعدم عن ذاته شيء ويجوز أن يحدث في ذاته أشياء. وقالوا: الأعراض كلّها تبقى. ولهم في مذهبهم أسرار تشبه أسرار القرامطة لا يظهرونها، منها أنّهم جوّزوا أن يخرج الله الكفّار من النّار.

وكان فيهم رجل يقال له أبو يعقوب الجرجاني[3] يقول: لله تعالى يدان هما جسمان وله وجه وجنب وساق وكلّ ذلك أجسام. ومنهم من قال: الله أجسام، فقدماه جسمان ووجهه جسم.

وقالوا: يجوز الكبائر والكذب على الأنبياء. وقالوا: يجوز ظهور المعجز على غير الأنبياء.

وكان بعضهم يقول: الترك لا معنى له، فالله تعالى لا يعاقب على قبيح وترك واجب، وإن كان يثيب على فعل الطاعات. وكان يقول: من استأجر أجيراً ليفعل شيئاً فلم يفعله لا يعاقب ولكن يسقط الأجر، وهذا إبطال للعقاب أصلاً، ويعرف هذا القائل بأبي جعفر[4].

---

(1) الزيادة من البمنيّة.

(2) سورة التوبة (9) : 6.

(3) تلميذ محمّد بن كرّام ومن رؤساء الكرّاميّة في زمانه. مضى ذكره في الباب الخامس.

(4) في البمنيّة: بأبي جعفر بن عمر.

وذكر ابن كرّام أنّه تعالى ثقيل، وفسّر قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[1] قال: من ثقل الرحمن.

وأثبتوا حوادث لا محدث لها، لأنّ عندهم الأحداث لا محدث لها. وهم أشدّ الناس بغضاً لأمير المؤمنين، ويحبّون معاوية ويقولون بإمامته، ولا تجد قوماً أشدّ بغضاً لأهل البيت منهم. وما يوردونها من الشبه أخذوها من سائر الفرق، خصوصاً من كتب ابن الرّاوندي[2]، فإنهم يحرصون على جمع كتبه غاية الحرص، وذلك يدلّ على قلّة دينهم. ويقولون: المنافق مؤمن، وأنّ إيمانه كإيمان جبريل وميكائيل، فخالفوا القرآن والسنّة والإجماع. وقالوا: عبادة الأصنام ليست بكفر وإنّما الكفر الجحود والإنكار. وقد وافقوا أصناف الكفّار في مذاهبهم، فوافقوا النصارى في أنّه تعالى جوهر، ووافقوا ماني الثنوي في أنّه نور، وزادوا على ماني فإنّهم قالوا: هو محلّ الحوادث، ووافقوا الدهريّة في إثبات أعراض قديمة، ووافقوا مشركي قريش في أنّ ما يسمع ويتلى ليس بكلام الله، ووافقوا الكفّار في جواز الكذب على الأنبياء. وحماقاتهم لا تسع كتابنا فمن أراد الوقوف عليها فليقرأ كتاب شيخنا أبي رشيد[3] فيهم.

وأمّا الخوارج فقد علمتم أنّ رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ

---

(1) سورة الانشقاق (84) : 1. وفي الفرق بين الفرق: «قال ابن كرّام في كتاب عذاب القبر في تفسير قول الله عزّ وجلّ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انّها انفطرت من ثقل الرّحمن عليها».

(2) هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، من المتكلّمين، كان من المعتزلة فخالفهم. نسب إلى الإلحاد. مات في سنة 298.

(3) أبو رشيد سعيد بن محمّد النيسابوري، كان تلميذاً للقاضي عبد الجبّار (المتوفّى سنة 415) وقام مقامه في رياسة المعتزلة بالريّ وبهامات. طبع له «مسائل الخلاف بين البصريّين والبغداديّين» و«ديوان الأصول» (باسم «من تراث المعتزلة في التوحيد»).

حكم بمروقهم من الدّين، وأنّهم في مذهبهم خالفوا المسلمين وخرجوا على أمير المؤمنين وكفّروا جماعة المؤمنين وسفكوا دماءهم وهتكوا حريمهم.

وأما الرّافضة فطعنوا في أصحاب رسول الله وكفّروهم، وجوّزوا في الدّين الكتمان وفي القرآن الزّيادة والنقصان، وأبطلوا أكثر الحجج وحصلوا على ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾[1] فهم يدعون النّاس إلى اتّباع أهل بيت رسول الله ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ وهم منهم براء. وقد علمتم ما روي في شأنهم عن رسول الله: إن مرضوا فلا تعاودوهم[2] فإنّ مذهبهم يؤدّي إلى هدم الدّين.

فإذا بان لك ما ذكرنا علمت أنّ الحق بقي فينا معاشر العدليّة، نوحّد الله ولا نشبّهه ولا نضيف إليه القبائح، بل ننزّهه ونحكم بعصمة الأنبياء والمرسلين، ونجعل العمدة اتّباع الشريعة، ونجمع بين محبّة الصحابة وأهل البيت. فنحن القادة ونحن السادة، سلفنا الصحابة والتابعون وخلفنا الأئمّة المهتدون، والحمد لله ربّ العالمين.

فما كان من مشايخنا من يجيبهم أو يردّ عليهم.

---

(1) سورة النور (24) : 39.

(2) رواه أحمد في مسنده 2 : 86 و125، 5 : 407 وأبو داود 4 : 222 (رقم 4691 - 4692) وابن ماجه: 35 (رقم 92) والبيهقي 10 : 203، ولكنّه في شأن القدريّة في جميع هذه المصادر. فلاحظ.

الباب السادس عشر

في القتال

اعلموا يا سادتي وإخواني أنّه لما جرى بيننا مناظرات وجمعنا وإيّاهم مقامات عجزنا عن المقال ودبّرنا عليهم بالقتال، وقلت لمشايخي من مجبرة الجنّ: لقد أدركت ما لم تدركه وشاهدت ما لم تشاهدوه. ولقد شهدت مقاتلة الملائكة مع الجنّ حتّى أسرت ولبثت فيهم ما لبثت، حتّى خلق آدم وأمرت بالسجود فأبيت، وأخرجت من الجنّة إلى الأرض فهبطت، وبيني وبين آدم وذرّيّته من العداوة ما علمتم ومن أمري وأمرهم ما رويتم. ثمّ شهدت قتل هابيل وأنا أحرّض قابيل على قتله، وشهدت نوحاً وأنا أمنّي ابنه، وشهدت عاداً فدعوتهم فأجابوني وخالفوا رسولهم هوداً ووافقوني، وشهدت ثموداً فاتّبعوني ونمرود وأشياعه فقبلوا منّي وأنا لقّنتهم: أقتلوا إبراهيم وحرّقوه، وشهدت فرعون إذ جاءه موسى باليد والعصا، وكنت مع السحرة إذ جاؤوا بالسحر حتّى آمنوا بموسى، وكنت مع اليهود إذ همّوا بقتل عيسى ومع قوم زكريّا إذ قتلوا يحيى، وكنت القائل لإخوة يوسف: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾[1]. وكنت مع مشركي قريش في مقاماتهم وأنديتهم يدبّرون في أمر محمّد ـ صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم ـ فشهدت دار الندوة حيث دبّرنا في أمره وأنا أحثّهم على قتله، وشهدت بدراً أحثّ النّاس على قتاله، وشهدت أُحداً حتّى فعلنا

---

(1) سورة يوسف (12) : 9.

ما فعلنا برجاله، وشهدت مسيلمة أعينه على قتال أبي بكر والمسلمين وأمنّيه حتّى قال: أنا من جملة النبيين، وشهدت عمر وأنا أحثّ على قتله على يد الفجّار، وحرّضت النّاس على قتل عثمان يوم الدّار، وشهدت صفّين وأنا في عسكر معاوية أدبّر معه في أمر عليّ وأزيّن له قتل عمّار، وجرى أمر النّهروان وأنا بين أظهرهم أحثّهم على قتال علي - عليه السّلام - وشهدت [ابن ملجم أحثّه على قتل عليّ، وشهدت][1] كربلا مع عمر بن سعد، وشهدت مقتل زيد وأنا في جملة هشام. ثمّ لم يكن موقف إلا شهدته ولا وقعة إلاّ حضرتها. فخذوا عنّي ودعوا المقال وتأهّبوا للقتال!

فسمعوا، وبلغ الخبر معتزلة الجنّ فتأهّبوا. فضممت الأطراف وجنّدت الجنود، وكتبت إلى أهل الوفاق في الآفاق، فأقبلت الأجناد كالجراد. فجاءني نواصب الشام ومشبّهة آذربيجان ومجبرة إصفهان[2] ومرجئة كرمان وخوارج سجستان وحنابلة هراة خراسان وقرامطة عمان ورافضة قم وقاشان، وانضمّ إليهم الأتباع الغاوون وجنود إبليس أجمعون.

واجتمعت المعتزلة عند رئيس لهم من جنّ نصيبين، وهو عندهم بمنزلة المهاجرين من بقيّة من حضر رسول الله - صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم - ومنه أخذ دين الله، فتابعوه وعلى السّمع والطاعة بايعوه. وكتب إلى الآفاق يستنهضهم وإلى الحجاز والعراق يحرّضهم، فحضر زيديّة اليمن والحجاز، وعدليّة الأهواز ومعتزلة خراسان وشيعة طبرستان.

وتوافقنا للقتال، وسوّينا الميمنة والميسرة والقلب، ووقفت في القلب أرابط القلب في لجب الجيش، وبين يديّ راية سوداء وهي راية أبي سفيان،

---

(1) الزيادة من اليمنيّة.

(2) في الأصل: إصفاهان.

تبرّكاً بشأنه. وسوّوا الصفوف وفيهم راية بيضاء راية عليّ، تيمّناً به وبأمره. وسوّينا الصفوف وأشرعنا الرماح والسيوف. وهم مرّة يتلون: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾[1]، ومرّة: ﴿قَاتِلُوا الَّذينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾[2]، ومرّة: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾[3] و﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَليلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾[4]. وكبّروا تكبيرة فبلغت القلوب الحناجر وكلّت الأسنّة والخناجر وتزلزلت الأقدام ونكست الأعلام، وكبّروا ثانية فانهزم الرّجال والفرسان ولحقوا بالأودية والغيران، لا يلوي أوّلهم علىٰ آخرهم ولا يقف كبيرهم لصغيرهم.

وبقيت فريداً وحيداً، أصيح بهم وأنادي: ها أنا! إليّ إليّ! ما هذا الفشل؟ ألا تبالون بسبالي ولا تلتفتون إلى مقالي؟ فلمّا لم يبق معي راجل ولا فارس ولا رامح ولا تارس، هربت إذ هربوا وذهبت حيث ذهبوا. والقوم خلفنا يركضون ويتلون: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ﴾[5]، ومرّة يتلون: ﴿وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنينَ الْقِتالَ﴾[6]، ومرّة يقرؤون: ﴿قاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْديكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنينَ﴾[7]. فنحن بين مقتول ومأسور ومهزوم ومجروح، لحقنا بالجبال ولزمنا الفلات، وكتبت إليكم أستنفركم وأستنصركم. فبادروا إخواني وأغيثونا نكن يداً على دفعهم

---

(1) سورة آل عمران (3) : 160.
(2) سورة التوبة (9) : 29.
(3) السورة نفسها: 12.
(4) سورة البقرة (2) : 249.
(5) السورة نفسها: 251.
(6) سورة الأحزاب (33) : 25.
(7) سورة التوبة (9) : 14.

ومنعهم، وإن لم تجيبوا فلا جبر بعد اليوم ولا تشبيه، وأبيدت جنودي أجمعون. وذلك شرٌّ عظيم[1] وخطبٌ جسيم.

تمّ. والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد خاتم النبيّين وعلى أهل بيته الأطهرين.

---

(1) في الأصل: وكان ذلك أمر عظيم، وما أثبتناه من اليمنيّة.

الفهرس

1994/12/30